

(من البلاغة القرآنية إلى مدارج التزكية)

(مقاربة منهجية تحليلية في فكر الدكتور محمود توفيق سعد)

إعداد

د/ محمد عبد الفتاح إبراهيم النجار

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية،

جامعة الأزهر


بسم الله الرحمن الرحيم

(من البلاغة القرآنية إلى مدارج التزكية)

(مقاربة منهجية تحليلية في فكر الدكتور محمود توفيق سعد)

محمد عبد الفتاح إبراهيم النجار

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني:mohammedelnggar.419@azhar.edu.eg

الملخص:

يُعنى هذا البحث بتحليل المنهج البلاغي الذي اعتمده الدكتور محمود توفيق سعد – رحمه الله – في قراءته للبيان القرآني، حيث يُعد نموذجًا متميزًا يجمع بين دقة التحليل البلاغي وعمق الفهم لمقاصد الشريعة، فقد تجاوز الشيخ – رحمه الله – حدود النظرة السطحية للأساليب، وتبنى رؤية تأويلية تربط التعبير القرآني بالمقاصد الكلية للشريعة، خاصة في مجالات التزكية الروحية والتربية الإيمانية؛ مما يجعل من البلاغة القرآنية أداة لفهم الهداية الإلهية، ووسيلة لإحياء الوعي الإيماني في قلب المسلم.

كما يكشف البحث عن تصور الشيخ – رحمه الله – للبلاغة العربية بوصفها نسقًا معرفيًا وروحيًا يتجاوز المفهوم التقليدي الذي يختزلها في حدود المهارات اللغوية والفنون البيانية؛ لتغدو أداة تأويلية فعّالة تسهم في الكشف عن المعاني العميقة، واستبطان الحكمة الإلهية الكامنة في البيان القرآني، ويتجلّى هذا التصوّر في إطار منهجي متكامل، تتآزر فيه اللغة مع الدلالة، وتنسجم فيه التراكيب مع المقاصد الكلية للبيان القرآني.

كما يسلط البحث الضوء على أهمية التكامل بين العقل البلاغي والعقل الأصولي في تحليل البيان القرآني؛ نظرًا لما يثمره هذا التفاعل من دور بارز في ترسيخ التوازن الدقيق بين جلال الألوهية وجمال الربوبية، على نحو يُعزّز الوظيفة التربوية للبيان القرآني في تهذيب النفس والارتقاء بها. كما يبرز البحث مفهوم "التقابل الوظيفي" كمدخل تأويلي يكشف عن أوجه الانسجام والتلاحم بين سور القرآن الكريم ، ويُظهر في الوقت ذاته عمق الترابط بين المقاصد التشريعية والأبعاد التربوية في النظم القرآني ، مما

يعكس وحدة الغاية وشمولية الرسالة.

وفي ظلال هذا المنهج التأويلي تستعيد البلاغة العربية حضورها العلمي وإشراقها الروحي، ويتحول تفسير القرآن إلى رحلة فكرية وروحية، تغذي الروح، وتعزز الفهم الدقيق للآيات ؛ مما يسهم في بناء شخصية مسلمة متوازنة، وتأسيس مجتمع متماسك يرتكز على دعائم الإيمان واليقين.

الكلمات المفتاحية: البلاغة القرآنية، محمود توفيق سعد ، التأويل المقاصدي ، التزكية الروحية ، التقابل الوظيفي.

From Quranic Eloquence to the Steps of Purification A Methodological and Analytical Approach to the Thought of Dr. Mahmoud Tawfiq Saad

Mohamed Abdel Fattah Ibrahim El-Naggar
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Alexandria, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: mohammedelnggar.419@azhar.edu.eg

Abstract:

This study is concerned with analyzing the rhetorical methodology adopted by Dr. Mahmoud Tawfiq Saad (may Allah have mercy on him) in his approach to Qur'anic rhetoric. His approach stands out as a distinctive model that combines the precision of rhetorical analysis with a profound understanding of the higher objectives (maqāṣid) of Islamic law. Dr. Saad transcended superficial readings of stylistic features and embraced a hermeneutical vision that connects Qur'anic expression with the overarching purposes of the Sharia, particularly in the domains of spiritual purification (tazkiyah) and faith-based education. This renders Qur'anic rhetoric not merely a literary tool but a means to comprehend divine guidance and to revive spiritual and emotional awareness in the heart of the believer.

The study also reveals Dr. Saad’s conception of Arabic rhetoric as an epistemological and spiritual system that goes beyond the traditional view which confines it to linguistic skills and rhetorical ornamentation. Instead, he presents it as an effective interpretive tool that unveils

deeper meanings and explores the divine wisdom embedded in Qur'anic discourse. This vision is manifested within a comprehensive methodological framework wherein language and meaning cooperate, and structure harmonizes with the overarching aims of the Qur’anic message.
Moreover, the study highlights the significance of integrating rhetorical reasoning with legal-theological reasoning (uṣūlī thought) in interpreting the Qur'an. Such integration contributes to establishing a delicate balance between the majesty of Divine Sovereignty and the beauty of Divine Lordship, thereby enhancing the Qur’an’s pedagogical function in refining the soul and elevating its state. The study also sheds light on the concept of "functional contrast" as an interpretive entry point that uncovers the dimensions of coherence and interconnection between the surahs of the Qur’an. At the same time, it reveals the deep linkage between legislative objectives and educational dimensions within the Qur’anic structure, reflecting the unity of purpose and the comprehensiveness of the divine message.
Under the light of this interpretive methodology, Arabic rhetoric regains its scholarly vitality and spiritual radiance, transforming Qur’anic interpretation into an intellectual and spiritual journey—one that nourishes the soul and sharpens the understanding of the divine message. In doing so, it contributes to forming a balanced Muslim personality and fostering a cohesive society grounded in faith and conviction.
Keywords:Qur’anic Rhetoric ، Maqasid Interpretation ، Spiritual Purification ، Mahmoud Tawfiq Saad ، Functional Correspondence.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم بلسانٍ عربي مبين، فكان معجزة خالدةً في البلاغة، ومنهلًا صافياً للنور والهداية، وأصلى وأسلم على سيدي وحبيبي ونور قلبي محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي كان منطقه نورًا يُستمدّ من أنوار القرآن، وبيانُه مرآةً تعكس أنوار الوحي، يهدي بنور ربِّه، ويُبلّغ رسالته بأبلغ لسان وأحكم بيان، وبعد:

فقد ظلّ القرآن الكريم – منذ فجر التنزيل وعلى مرّ العصور – مشكاةً للنور الإلهي، ومصدرًا للهداية الربّانية، ومعينًا للتزكية الروحية، تستضيئ به القلوب، وتترقّى به العقول في مدارج العلم والإيمان. وقد بذل العلماء والمفسرون والبلاغيون على مر العصور جهودًا جليلة في تدبر آياته، واستنباط دلالاته، وبيان وجوه إعجازه .

وفي رحاب هذا الميدان الرحب يتجلى عطاء الدكتور محمود توفيق سعد – رحمه الله – بوصفه أنموذجًا فريدًا يجمع بين صفاء الذوق البلاغي، ونفاذ البصيرة في مقاصد النصوص، فقد كان ذا فكرٍ وبصيرة، لا يقتصر على استجلاء مظاهر الجمال البياني في النظم القرآني فحسب، بل ينفذ من خلال أساليبه المعجزة إلى مقاصده العليا وغاياته التشريعية الكبرى، فهو لا ينظر إلى خصائص التراكيب والصور البيانية على أنها مجرد أدوات فنية، بل يراها مفاتيح للفهم، ومداخل لفقه البيان القرآني، ووسائل لكشف انسجام النص وتلاحم أجزائه؛ لذلك اتّسمت دراساته بعمق التأمل، وثراء الفكر، وبعدها عن السطحية والتقليد، واتجهت نحو تعميق وعي القارئ بعظمة البيان القرآني، ووظيفته الحضارية في بناء الإنسان والمجتمع.

وتكمن إشكالية هذا البحث في التساؤلات الآتية:

– ما الأُسس الفكرية والمنهجية التي أسس عليها الدكتور محمود توفيق سعد منهجه في تدبر القرآن الكريم، والتي أتاحت له ربط البلاغة القرآنية

بمقاصد الشريعة؟ وكيف تمكن من تجاوز حدود التفسير البياني إلى استنباط المقاصد الشرعية؟

- ما المرجعيات الفكرية والجمالية التي اعتمدها في تدبره لآيات القرآن الكريم، والتي أتاحت له إدراك البعد الروحي الرباني الكامن في النظم القرآني بوصفه حاملاً للمعنى؟ "وكيف أسهم هذا الإدراك في تجاوز ظاهر الآيات إلى تأويل يستحضر مقاصد الشريعة، وخاصة مقاصد التزكية في تهذيب النفس والارتقاء بالروح؟
- كيف وُفّق الشيخ – رحمه الله – للجمع بين المعالجة البلاغية للألفاظ والتراكيب القرآنية، واستنباط المقاصد الكبرى للسور، على نحوٍ يكشف عن وحدة بنائية شاملة للقرآن الكريم؟
- كيف يتجلى التكامل بين الجلال والجمال في البيان القرآني في فكر الشيخ، وما أثر ذلك في تحقيق مقاصد التزكية والتربية الإيمانية؟

كما يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، منها:

- استكشاف معالم المنهج البلاغي الذي أسّسه الشيخ – رحمه الله– في تدبر آيات القرآن الكريم، وتحليل أسسه الفكرية وأدواته المنهجية التي شكّلت رؤيته التدبرية للبيان القرآني.
- الكشف عن الأبعاد الروحية والتربوية الكامنة في الرؤية البلاغية للدكتور محمود توفيق سعد، بوصفها مدخلًا لفهم متكامل ومتوازن للقرآن الكريم.
- تحليل النماذج التطبيقية التي تُبرز آليات انتقال البلاغة من إطارها النظري القائم على القواعد إلى أداة فاعلة في مشروع التزكية الإيمانية كما تجلّى في فكر الشيخ – رحمه الله –.
- الكشف عن البُعد التأويلي العميق الذي ينهض عليه فِكرُ الشيخ –رحمه الله – في تحقيق التوازن بين جلال الألوهية وجمال الربوبية، بوصفه

مدخلًا تأسيسيًّا، ومنطلقًا جوهريًّا في منهج الشيخ التفسيري للقرآن الكريم.

ونظرًا لطبيعة البحث وخصوصية موضوعه، تم اعتماد المنهج التحليلي الاستقرائي التأويلي، الذي يزاوج بين قراءة الآيات القرآنية من جهة، وتحليل اختيارات الدكتور محمود توفيق سعد من جهة أخرى، في ضوء رؤيته الروحية للقرآن الكريم. وقد تمّ ذلك من خلال:

- استقراء تحليلي لنماذج تفسيرية مختارة، تسلط الضوء على منهجه البلاغي في الكشف عن المعنى القرآني العميق.
- تحليل السياقات القرآنية في ضوء مقاربته الإيمانية، واستحضار الأبعاد التزكوية التي تُوجّه تأويله.
- استكشاف الأبعاد الإيمانية والروحية الكامنة في خطاب الشيخ التدبري، وتتبع حضور البعد الرباني والتزكوي في مقاربته للبيان القرآني.
- مقارنة تحليلات الشيخ ببعض التأويلات البلاغية والتفسيرية المتنوعة – عند الضرورة – لبيان خصوصية منهجه والتأكيد على تفرّد رؤيته التأويلية.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في تمهيد وخمسة فصول وخاتمة:

- **التمهيد:** من السيرة إلى المنهج: البعد التكويني للرؤية البلاغية عند **الدكتور محمود توفيق سعد.**
- **المبحث الأول** : معالم المنهج البلاغي في تحليل البيان القرآني عند الدكتور محمود توفيق سعد.
- **المبحث الثاني:** التكامل المنهجي بين البلاغة والأصول في فكر الشيخ.
- **المبحث الثالث:** مقاصد السور وتناسبها البلاغي في البناء الكلي للقرآن الكريم:



- **المبحث الرابع:** التجليات البلاغية والربانية في قراءة الشيخ للقرآن الكريم.
- **المبحث الخامس:** توازن الجلال والجمال في القرآن وأثره في تزكية النفس في فكر الشيخ.
- **الخاتمة:** ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج وما اقترحته من توصيات.

وبعد، فهذا جهد المقلّ، وخطوة على الدرب، فإن نال القبول فبفضل الله ورحمته، وإن قَصُر عن المأمول فهذا من طبيعة العمل البشري، خاصة وأنه أول إسهام علمي يُعنى بفكر الشيخ وجهوده البلاغية، وحسبي أنني اجتهدت، وأسأل الله العفو والغفران، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لطلاب العلم، وخادمًا لكتاب الله العزيز، وأن يتغمّد الشيخ الدكتور محمود توفيق سعد بواسع رحمته، ويرفع درجته في عليين، ويخلفه في عقبه في الغابرين، ويجزيه عن القرآن وأهله خير الجزاء، والله ولي التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

تمهيد: من السيرة إلى المنهج

البُعد التكويني للرؤية البلاغية عند الدكتور محمود توفيق سعد

في ظل التحوّلات المعرفية المتلاحقة، ومع تنوع المقاربات المنهجية في دراسة لغة القرآن الكريم ، يظل لبعض العلماء موقعهم المتميز، ومكانتهم الفريدة التى لا تُقاس بوفرة الإنتاج العلمي فحسب، بل بما يحمله هذا الإنتاج من عمق في الرؤية، وأصالة في المنهج، وصدق في التوجّه. وإنني أحسب الدكتور محمود توفيق سعد – رحمه الله– أحد هؤلاء الأعلام البارزين في ميدان البلاغة القرآنية، إذ كرَّس حياته لوصل البلاغة بروحها الأصيلة الصافية، بعيدًا عن الممارسات الشكلية التى تُعنى بزينة اللفظ وجمال التركيب فحسب؛ لذلك شكّلت دراساته جسرًا معرفيًا يلتقى فيه التراث البلاغي الأصيل مع متطلبات القراءة المعاصرة، حيث تتضافر أدوات التحليل البلاغي مع مقاصد النظم القرآني، في إطار رؤية منهجية تجمع بين الانضباط المنهجي والحسّ الإيماني العميق.

وقد حرص الدكتور محمود توفيق سعد – رحمه الله – على تأصيل مسلك بلاغي يتجاوز حدود الكلمة والجملة، والتلقي الجمالي السطحي؛ ليُعيد للبلاغة دورها التفسيري والمعرفي، بوصفها مدخلًا لفهم المعنى الكلي للقرآن الكريم. وقد تجلّى هذا القصد بوضوح في مقارباته العلمية التى توثق الصلة بين مكونات البيان والأسلوب، والسياق والمقصد، والوظيفة البلاغية للبيان القرآني.

وانطلاقًا من هذا التصور، فإنه لا يمكن استيعاب المنجز البلاغي للدكتور محمود توفيق سعد خارج السياق الفكري والمنهجي الذي تشكّلت فيه رؤيته، ولا بمعزل عن الإشكالات المعرفية التي كانت حاضرة في الوعي البلاغي العربي الإسلامي، والتي سعى جاهدًا لمعالجتها من خلال مشروعه البلاغي المتفرّد، فقد انطلق هذا المشروع من وعيٍ عميق بوظيفة

اللغة في البيان القرآني، التى تتجاوز كونها مجرد وسيلة بيانية وتعبيرية، لتغدو نظامًا دلاليًا محكمًا، يحمل مقاصد إلهية تنشد هداية الإنسان.

وفي ضوء هذا السياق تبرز الحاجة إلى تتبع المسار العلمي والفكري الذي سلكه الشيخ من أجل فهم مرتكزات مشروعه المعرفي، ومصادره التكوينية، عبر محطّات حياته المتعددة، إذ لم تكن إسهاماته البلاغية ثمرة جهد عابر، بل نتيجة تراكم معرفي، وتكوين أكاديمي رصين، وتجربة علمية ناضجة، امتزج فيها التأصيل الراسخ بالتجديد الواعي.

وعليه، فإن التوقّف عند أبرز محطات حياته العلمية، واستعراض إنتاجه العلمي، لا يُعدّ مجرد توثيق لسيرة فكرية متميّزة، بل هو مدخل أساسي لفهم مشروع علمي متكامل، يسعى إلى تجديد النظر في الدرس البلاغي، ويعيد للّغة مكانتها في بنية الوحي العلي، بوصفها أداةً للهداية، ومجالًا للتدبّر، ومسارًا تأويليًا موصلًا إلى المقصد الإلهي.

- **جذور النور: ملامح النشأة والتكوين العلمي:**

في صبيحة يومٍ مبارك من أيام شهر رمضان، الموافق للتاسع عشر من شهره الفضيل عام ١٣٧٠هـ، الموافق الثالث والعشرين من يونيو عام ١٩٥١م، وُلد محمود توفيق محمد سعد في قرية الدير التابعة لمركز إسنا بمحافظة الأقصر، في بيئة عُرفت بصفاء المعتقد، وشغفها بكلام الله تعالى، والانتماء إلى النَسب الطاهر، إذ يمتد نسبه إلى قبيلة الأمارة التي تعود إلى الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما.

نشأ محمود توفيق في بيتٍ تُعطره أنفاس القرآن، ويُظلّله حبُّ العلم. فقد كان والده، الشيخ توفيق محمد سعد، حافظًا للقرآن عن ظهر قلب، متقنًا للقراءات، متفانيًا في ترسيخ معاني الوحي في قلب ابنه. فبدأ رحلته مع القرآن الكريم في كُتّاب قريته على يد الشيخ فتح الله جبر محمود الوكيل

العمري، وسرعان ما أتمّ حفظه وهو بعدُ في مطلع الطفولة، ليغدو القرآن رفيقه في الفكر والتكوين، والنبراس الذي أنار له دروب العلم.

التحق بمدرسة الدير الابتدائية سنة ١٩٥٦م، وحصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩٦٢م، وقد أتمّ حينها حفظ كتاب الله كاملاً. ثم ارتحل إلى معهد إسنا الديني الأزهري، فنهل من علوم العربية والشريعة، مجتازًا المرحلة الإعدادية خلال أربع سنوات وفق النظام القديم، قبل أن يكمل تعليمه الثانوي في معهد أسوان الديني الأزهري، حيث تفتّحت مداركه على جمال البيان القرآني وروعة التفسير، وذلك بين عامي ١٩٦٦ و ١٩٧٠م.

وكانت وجهته بعد ذلك إلى قلب القاهرة، حيث التحق بكلية اللغة العربية – جامعة الأزهر الشريف، عام ١٩٧٠م، فغاص في أعماق البلاغة والنقد، وتشرّب روح البيان العربي، حتى نال درجة الليسانس سنة ١٩٧٤م بتقدير "جيد جدًا مع مرتبة الشرف."

لم يقف عند هذا الحد، بل واصل رحلته العلمية بخطى واثقة، فالتحق بالدراسات العليا في قسم البلاغة والنقد، ليحصل على درجة الماجستير عام ١٩٧٩م، بتقدير "ممتاز"، عن رسالته الموسومة بـ: "آراء العصام في شرحه للسمرقندية في الاستعارات"، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الكردي، ومناقشة علمية أجراها كلٌّ من الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى، والأستاذ الدكتور محمود جميلة.

ثم بلغ الذروة العلمية بحصوله على درجة الدكتوراه عام ١٩٨٣م، بمرتبة الشرف الأولى، عن أطروحته القيمة: "التناسب القرآني عند برهان الدين البقاعي"، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الكردي، ومناقشة الأستاذين الجليلين: الدكتور يوسف البيومي، والدكتور علي البدري حسين[١].

١ – ينظر :ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) على هذا الرابط:
=

من غرس الأساتذة إلى نضج الفكر : رحلة التأصيل والتجديد:

لم يكن التكوين العلمي للدكتور محمود توفيق سعد وليد اجتهاد فردي فحسب، بل جاء ثمرة مسيرة علمية مباركة، تلقّى خلالها علوم اللغة والبيان على أيدي نخبة من أعلام العربية في عصره، ممن تفتّحت على أيديهم مداركه، وتشكل بهم وجدانه اللغوي والبلاغي. ففي رحاب علم البلاغة، نهل من معين ثلاثة من كبار أساتذتها: الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الكردي، والأستاذ الدكتور يوسف البيومي، والأستاذ الدكتور علي البدري حسين، الذين كان لهم بالغ الأثر في ترسيخ أسس هذا العلم في وجدانه العلمي، غير أنّ التأثير الأعمق والأدوم كان للعالم الجليل، شيخ البلاغيين العرب: الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى – حفظه الله – الذي كان له الفضل الأكبر في تشكيل وعيه البلاغي، وتوجيهه نحو التعمّق في بلاغة الوحي. وليس من المبالغة في شيء القول بأن معظم ما يحوزه من علم وفهم إنما هو غرس يديه الكريمتين، وبصمة فكره وروحه.

وفي علم النحو تتلمذ على يد كل من: الأستاذ الدكتور محمد هلال، والأستاذ الدكتور فخري الخضراوي، فكان لهما الفضل في تمكينه من أدوات الصناعة النحوية، وصقل قدرته على تحليل التركيب اللغوي. أما علم الصرف، فقد تلقّاه عن الأستاذ الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة، والأستاذ الدكتور إبراهيم البسيوني، فتمكن من دقائق البنى الصرفية، وأسرار تصريف الألفاظ ودلالاتها.

=

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D9%88%D8%AF_%D8%AA%D9%88%D9%81%D9%8A%D9%82_%D8%B3%D8%B9%D8%AF

وفي مجال تذوّق النصوص الأدبية، وأسرار التكوين الفني للخطاب العربي، كان للأستاذ الدكتور عبد السلام سرحان دور كبير في تدريبه على تحليل النصوص وتذوق جمالياتها. كما درس أصول اللغة خلال سنواته الجامعية الأربع على يد الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد نجا، الذي غرس فيه ملكة البحث في جذور الألفاظ وتاريخ الدلالة، وفي مجال النقد الأدبي، تلقّى علومه على يد كل من الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عثمان، والأستاذ الدكتور محمد السعدي فرهود، اللذين كان لهما أثر واضح في توجيهه نحو التوازن بين الحس النقدي والمنهجية العلمية في التعامل مع النصوص. وهكذا تكاملت أركان التكوين العلمي للدكتور محمود توفيق سعد، فنهض مشروعه المعرفي على أسس راسخة، تمزج بين عمق التحصيل، ودقّة الفهم، وشرف المشرب، مما مهّده ليكون من الأصوات البلاغية المجدّدة في عصرنا.

- **مسار أكاديمي رائد: من معاهد الأزهر إلى الجامعات الكبرى:**

بعد إتمامه للخدمة العسكرية، بدأ الدكتور محمود توفيق سعد مشواره الأكاديمي في مجال التعليم، حيث عُيّن مدرسًا للعلوم العربية في معهد أسوان الديني الثانوي الأزهري. لكن سرعان ما انتقل إلى معهد البراموني الأزهري بالقاهرة، حيث لم يستمر فيه سوى ستة أشهر، ليجد استقراره في معهد حجاز بمصر الجديدة. هناك، بدأت مرحلة جديدة من حياته العلمية التي مهدت الطريق له ليُعيّن معيدًا في قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالمنوفية عام ١٩٧٨م.

سرعان ما أثبت الدكتور محمود توفيق جدارته العلمية، فبعد حصوله على درجة الماجستير، ارتقى إلى درجة مدرس مساعد عام ١٩٧٩م، ومن ثم إلى درجة مدرس بعد نيله درجة الدكتوراه في عام ١٩٨٣م. ولم تتوقف مسيرته الأكاديمية عند حدود مصر، بل امتدت لتشمل محطات علمية في

المملكة العربية السعودية، حيث عمل أستاذًا مساعدًا في كلية المعلمين بحائل، ثم انتقل إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ليواصل عطائه العلمي في جامعة أم القرى بمكة المكرمة[1].

تكللت هذه المسيرة المضيئة في أرجاء العالم العربي بعودة الدكتور محمود توفيق إلى مصر، حيث عمل أستاذًا في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة، ليواصل توجيه الأجيال حتى وفاته يوم الخميس ٢٨ من شعبان ١٤٤٦هـ، الموافق ٢٧ من فبراير ٢٠٢٥م، عن عمر ناهز أربعة وسبعين عامًا، تاركًا وراءه إرثًا علميًا خالدًا وأثرًا لا يُمحى في ميدان البلاغة والنقد.

نتاجه العلمي:

ترك الدكتور محمود توفيق سعد إرثًا علميًا غزيرًا ومتميزًا، فقد أسهم بشكل بارز في ميدان البلاغة والنقد من خلال مجموعة من المؤلفات القيمة التي تعد مرجعًا للدارسين والباحثين، وقد تميزت مؤلفاته بدقة البحث وعمق التحليل، مما جعلها إضافة مهمة للمكتبة العربية والإسلامية، ويمكن حصر مؤلفاته الأساسية التى عنيت ببلاغة القرآن الكريم في ما يأتي:

١- المعنى القرآني، معالم الطريق إلى فقهه في سياق السورة، رؤية منهجية ومقاربة تأويلية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م.

٢- أسرار البلاغة القرآنية في سورة {تبَّت يَدا أبي لهَب}، مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

---

١ – تلقيتُ هذه المعلومات مشافهةً من فضيلة الأستاذ الدكتور محمود توفيق سعد – رحمه الله – في لقاء علمي خاص جمعني بفضيلته في صيف عام ٢٠٢٠م، وقد أوردتُها هنا كما سمعتُها من فضيلته دون تصرف.

٣- العزف على أنوار الذِّكر، معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٤- إشكالية الجمع بين الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٥- أصول البحث في بلاغة التناسب القرآني، بحث منشور في مؤتمر الدراسات البلاغية في القرآن الكريم الذي عُقد في كلية اللغة العربية بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ٢٠١٦م.
٦- الإمام البِقاعي، جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن، مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٧- الرجال قوَّامون على النساء، مدارسات إيمانية أخلاقية في ضوء علم البلاغة العربي، مكتبة وهبة ، القاهرة، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.
٨- شذَرات الذهب، دراسة في البلاغة القرآنية، مكتبة وهبة ، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٩- سُبل استنباط المعاني من القرآن والسنَّة: دراسة منهجية تأويلية ناقدة، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
١٠-صورة الأمر والنهي في الذِّكر الحكيم، دراسة في البلاغة القرآنية، مطبعة الأمانة،١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
١١-مسالك العطف بين الإنشاء والخبر في الذكر الحكيم، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
١٢-مِنهاج الدعوة الى الله سبحانه وتعالى في ضوء البناء التركيبي لصورة المعنى القرآني، سورة النحل نموذجًا، بحث منشور في ندوة الدراسات البلاغية الواقع والمأمول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، المجلد الأول، عام ٢٠١١م.

١٣-اتساع الرؤية القلبية للمعنى القرآني: العوامل والعوائق، بحث منشور في مجلة كلية القرآن الكريم بطنطا، جامعة الأزهر، العدد الرابع، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٨م.

١٤-فقه التعبير القرآني في ضوء مقامات القُرب، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، العدد الرابع، عام ١٩٨٤م.

١٥-القول البلاغي في بديع القرآن، مراجعات منهجية، بحث منشور في مركز تفسير للدراسات القرآنية، عام ٢٠١٨.

ولم يقتصر عطاء الشيخ على البلاغة القرآنية فحسب، بل امتد إلى البلاغة النبوية، حيث كانت محل عنايته وموضع تأمله، فقرأ الهدي النبوي قراءة تجمع بين فقه اللغة وروح البيان، وقد أثمرت جهوده في هذا الحقل عن مؤلفات علمية رصينة تُعنى بكشف جماليات الخطاب النبوي، ويمكن حصر أبرزها فيما يأتي:

١- فقه بيان النبوَّة منهجًا وحركة: دراسة في البلاغة النبوية، مطبعة الأمانة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.، ثم مكتبة وهبة بالقاهرة.

٢- الكلمة نورٌ: محاورات منهجية في كتاب شرح أحاديث من صحيح مسلم لشيخنا محمد أبي موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

كما امتدت عناية الشيخ لتشمل القضايا النظرية والمنهجية لعلم البلاغة العربية، وتحليل النصوص الفصيحة في ضوء أدواته ومفاهيمه الدقيقة، وقد وقف على قضايا البلاغة دارسًا وناقدًا، واستثمر طاقاته العلمية في التأصيل والتفسير والتحليل، فكانت له مؤلفات متفرّدة في هذا الميدان، يمكن حصر أبرزها فيما يأتي:

١- دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين: دراسة منهجية تحليلية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢- قراءة في المثل السائر لابن الأثير، كتاب منشور في مكتبة علاء الدين بشبين الكوم، ١٤١٨هـ.

٣- الإمام أبو حنيفة بليغًا، وصيَّته تلاميذَه نموذجًا: قراءة في المنهج والبيان، مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

٤- نظرية النظم الجرجانية وقراءة الشعر، بحث نُشر في كلية اللغة العربية بشبين الكوم المنوفية جامعة الأزهر، العدد الحادي والعشرين، ١٤٢٣هـ

٥- استقيموا على الطريقة مراجعات في الفهم والإفهام باب الوصل والاتصال، مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٤٤٥هـ ، ٢٠٢٤م.

٦- الدراسات البلاغية العليا في جامعة الأزهر الداء والدواء، بحث ألقاه الشيخ في مؤتمر النهوض بالبحث البلاغي كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة جامعة الأزهر سنة ٢٠١٦م.

٧- علم البديع عند الشيخ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.

٨- في نقد العقل البلاغي، كتاب طبعته مشيخة الأزهر الشريف ومجلس حكماء المسلمين ضمن سلسلة كتب اللغة والأدب في مشروع من عيون التراث الأزهري الحديث، ونشرته دار القدس العربي بالقاهرة عام: ٢٠١٩م.

٩- قطرات الندى: معالم الطريق إلى فقه المعنى الشعري في سياق القصيدة، مطبعة النعمان، شبين الكوم، ١٤٢٢هـ.

١٠- موقف أبي فهر محمود شاكر من قضية عمر الشعر الجاهلي، بحث منشور في مجلة الأدب الإسلامي، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، المجلد الرابع، العدد السادس عشر، عام ١٩٩٧م.

١١- نقد مذهب التقي السُّبكي في دلالة التقديم على الحَصْر: دراسة بلاغية، بحث منشور في مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السادس عشر، عام ٢٠١٠م.

١٢- مستويات بناء صورة المعنى في العقل البلاغي: مراجعات منهجية، بحث منشور في مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي بجُدَّة، المجلد الثاني والثلاون، عام ٢٠١٢م.

١٣- مراجعات ناقدة في موقف البلاغيين من عَلاقات المعاني فصلًا ووصلًا، بحث منشور في مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي بجُدَّة، العدد الأربعون،عام ٢٠١٥م.

١٤- نقد مذهب التقي السبكي في دلالة التقديم على الحصر، بحث منشور في مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السادس عشر: ١٤٣١هـ.

وإلى جانب عطائه البلاغي والنقدي أسهم في التأليف في ميادين الفكر الإسلامي والدعوة إلى الله تعالى، حيث سعى من خلال كتاباته الرصينة إلى بيان محاسن هذا الدين، وإبراز هديه الرباني في تهذيب النفوس وبناء المجتمعات، بلغة رصينة، وفهم عميق، وأسلوب يجمع بين الإقناع العقلي والتأثير الوجداني. وقد خلَّف في هذا المجال عددًا من المؤلفات النافعة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- فقه تغيير المنكر، كتاب الأمَّة، الدوحة، قطر، ربيع الأول ١٤١٥هـ ، أغسطس ١٩٩٤م.

٢- الاحتفال بذكرى ميلاد سيد الأنبياء، كتاب منشور في مكتبة علاء بشبين الكوم ، ١٤٢٢هـ.

٣- تأصيل استرفاد العقل المسلم، بحث منشور في مؤتمر كلية العربية بأسيوط، جامعة الأزهر ١٤٤٣هـ.

٤- تغييب الإسلام الحق: دحضُ افتراءات دُعاة التنوير على القرآن الكريم، مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٥- تقريب رسالة القواعد في السلوك إلى الله تعالى لأحمد بن إدريس الفاسي، مكتبة وهبة بالقاهرة،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٦- فقه تغيير المنكر، سلسلة كتاب الأمة، الدوحة، قطر، الإصدار رقم : ٤١، ربيع الأول: ١٤١٥ هـ.

٧- الهجرة في طلب العلم مدارسة إيمانية إصلاحية في آية من سورة التوبة، دار العُرفاء بالقاهرة ٢٠٢٣م.

وبعد تأملٍ شاملٍ في عنوانات المؤلفات العلمية السابق ذكرها، يتبيّن لنا بجلاء أنّ المشروع العلمي للشخ - رحمه الله - قد اتّسم بالتكامل والشمول، حيث مزج بين التفسير البياني للقرآن الكريم، والقراءة البلاغية للخطاب النبوي، والنقد المنهجي للمنظومة البلاغية التراثية، إلى جانب توظيف البلاغة في الخطاب الفكري والدعوي، مما يكشف عن رؤية تجديدية عميقة لعلوم البلاغة ومقاصدها.

ففي حقل التفسير البياني للقرآن الكريم قام بتأسيس رؤية منهجية تُركّز على تكامل المعنى ضمن السياق الكلي للسورة القرآنية.وتستحضر بلاغة التناسب بين الألفاظ والمعاني،وقد اعتمد في قراءته للنظم الحكيم على منهج تأويلي يوازن بين البنية التركيبية والبعد الإيماني في الخطاب القرآني، وقد شكلت مؤلفاته في هذا المجال، وعلى رأسها المعنى القرآني، والعزف على أنوار الذكر، وبلاغة التناسب القرآني، نقلة نوعية وتحولًا جوهريًا إلى بلاغة تتأسس على أفق المقاصد والمعاني.

أما في ميدان البلاغة النبوية فقد اجتهد الشيخ - رحمه الله - في تأصيله كفرع علمي مستقل، يتميز بخصائصه البيانية المتصلة باعتباره حاملًا لرسالة هداية ربانية، وقد تجلت جهوده في مؤلفات مثل: فقه بيان

النبوة، ومن ميراث النبوة، حيث كشف عن جماليات التعبير النبوي في ضوء أدوات البلاغة العربية، مؤكدًا على وحدة الغاية بين البيانين القرآني والنبوي، مع إعمال تمييز منهجي دقيق في طبيعة الوسائل والأساليب المستخدمة في كل منهما.

وفي سياق نقد العقل البلاغي انصبَّ جهد الشيخ على إعادة قراءة الأسس المعرفية التي قامت عليها البلاغة العربية ، حيث قام بمراجعة جذرية لموضوعات محورية كالحقيقة والمجاز، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، وسياقات المعاني، من منظور يربط بين الشكل والمقصد، وقد تجسدت هذه الرؤية بوضوح في مؤلفاته، مثل: في نقد العقل البلاغي، ودلالة الألفاظ عند الأصوليين، إذ أعاد من خلالها طرح البلاغة كعلم يُعنى بالمعنى والمقصد والسياق، لا مجرد ممارسة أسلوبية تركز على جمالية التعبير.

ولم تكن مقاربات الشيخ – رحمه الله – مجرد اجتهادات نظرية داخل دائرة النصوص فحسب، بل اتجه برؤيته نحو الإنسان والمجتمع، مستثمرًا البيان في بناء الوعي وإصلاح الواقع، فقد قدّم البلاغة باعتبارها أداة وعي ووسيلة إصلاح، لا علمًا مجردًا، وقد برز هذا التوجه في مؤلفات نوعية مثل: فقه تغيير المنكر، وتغييب الإسلام الحق، والهجرة في طلب العلم، التي تُمثّل تجليًا حيًّا لرؤيته الإصلاحية القائمة على بلاغة المعنى، حيث تتداخل وظائف البيان مع مقاصد الإصلاح، وتتفاعل اللغة مع حركة الواقع، في سبيل بناء الإنسان وتهذيب الوجدان وتوجيه العقل، ضمن رؤية متكاملة تستوعب البُعد العقلي في الخطاب، والعمق الروحي في التأثير، والأساس الأخلاقي في التوجيه.

ومن أبرز السمات التى تميز المشروع العلمي للشيخ – رحمه الله – الحضور المتكرر لفكرة "تأصيل المنهج" في معظم مؤلفاته، وهو ما يمنح

مشروعه العلمي طابعًا تأسيسيًّا متماسكًا، ويُبرر لنا أن نطلق عليه عن جدارة واستحقاق "عالم المنهج"، وأن نعد كتبه بمثابة "كتب المناهج" فهي لا تقتصر على عرض القواعد والمعارف البلاغية فحسب، بل تُعنى بضبط أدوات الفهم وآليات النظر، ويتجلى هذا المنحى المنهجي بجلاء عند تأمّل عنوانات كتبه، مثل:سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة – دراسة **منهجية** تأويلية ناقدة، وفقه بيان النبوة **منهجًا** وحركة، والإمام البقاعى جواره **ومنهاج** تأويله بلاغة القرآن الكريم، والكلمة نور، محاورات **منهجية** في كتاب شرح أحاديث من صحيح مسلم لشيخنا محمد أبي موسى، وتثوير نصوص **منهجية** من كتاب دلائل الإعجاز. واستقيموا على الطريقة، مراجعات **منهجية** ومقاربات تأويلية في الفهم والإفهام وصلا واتصالا، والإمام أبو حنيفة بليغًا، وصيتُهُ تلاميذَه نموذجًا قراءة في **المنهج** والبيان، ودلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين، دراسة تحليلية **منهجية**، **منهاج** الدعوة إلى الله في ضوء البناء التركيبي لصورة المعنى القرآني، سورة النحل نموذجًا، وفي بلاغة التناسب القرآني: مقاربات **منهجية** في تأصيله وأصوله... وغيرها من العنوانات التى تكشف بوضوح عن منهجه الدقيق في البحث والتأليف، فمجرد تأمل هذه العنوانات يكفى لإدراك حرصه على الدقة في الطرح، واستقصاء المسائل، ووضوح المنهجية، وسعيه الدؤوب نحو تقديم رؤية منهجية متكاملة لفهم النصوص، ولعل أبرز ما يلفت النظر في هذه العنوانات هو تكرار ألفاظ مثل: المنهج، والتأصيل، والمقاربة، والتحليل، وهي مصطلحات تدل على اهتمامه بوضع إطار علمي منضبط للبحث البلاغي ولدراسة النصوص ونقدها، وهذا النوع من التأليف ليس بالأمر اليسير؛ بل هو جهد علمي مضنٍ، يتطلب صبرًا، ومصابرة، ومثابرةً في البحث والتحليل؛ لأن الغاية منه ليست مجرد جمع المعارف وتنسيقها وتدوينها في كتاب واحد، بل تأسيس قواعد وأسس علمية راسخة، يمكن

للباحثين أن ينطلقوا من خلالها نحو البحث والتحليل وفق منهج دقيق وقواعد منضبطة، وهذا أمر يجعل من هذه المؤلفات إضافة نوعية ورائدة في مجال الدراسات البلاغية والنقدية، ومصدرًا غنيًا ومتجددًا لكل من يرغب في التعمق في فهم أسرار البيان القرآني والبلاغة النبوية.

المبحث الأول:

معالم المنهج البلاغي في تحليل البيان القرآني

عند الدكتور محمود توفيق سعد

يتّسم المنهج البلاغي الذي اعتمده الدكتور محمود توفيق سعد في تحليله للبيان القرآني بجملة من المعالم المركزية التي تكشف عن عمق رؤيته الجمالية والدلالية للبيان القرآني، وتبرز في طليعة هذه السمات ركيزةٌ تأسيسية تمثّل العمود الفقري لهذا المنهج، وتشكل المنطلق الذي تتفرع عنه بقية ملامح مشروعه البلاغي.

العمود الفقري للمنهج:

كشف الشيخ – رحمه الله – عن الركيزة الأساسية التى شَيَّد عليها منهجه في التحليل البلاغي للبيان القرآني، موضحًا أنّه قد استمدها من مقالتين محوريتين رائدتين للإمام عبد القاهر الجرجاني، في كتابيه الخالدين أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، وقد تجلّت معالم هذا الأساس في قول الإمام عبد القاهر: " واعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته، والأساس الذي وضعته، أن أتوصّل إلى بيان أمر المعاني كيف تختلف وتتفق، ومن أين تجتمع وتفترق، وأفصل أجناسها وأنْواعها، وأتتبّع خاصّها ومُشَاعَها، وأبين أحوالها في كرم مَنْصبها من العقل، وتمكُّنَها في نِصَابه، وقُرْب رَحِمِها منه، أو بُعدها حين تُنسب عنه، وكَوْنِها كالحَلِيف الجارِي مجرى النَّسَبَ، أو الزَّنيم الملصَق بالقوم لا يقبلونه، ولا يمتعضون له ولا يَذُبُّون دونه "١، وقولِه: " وإِذ قد عرفْتَ أنَّ مدارَ أمرِ النظْم على مَعاني النحو، وعلى الوجُوهِ والفُروق التي من شأْنها أَنْ تكونَ فيه، فاعلمْ أنَّ الفروقَ

١- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، (ت:٤٧١هـ) قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ص ٢٦.

والوجوهَ كثيرةٌ ليسَ لها غايةٌ تقفُ عندها، ونهاية لا تجد لها ازدياداً بَعْدها ثم اعْلَمْ أنْ ليستِ المزيةُ بواجبةٍ لها في أنْفُسِها، ومِنْ حيثُ هي على الإطلاق، ولكنْ تعرضُ بسببِ المعاني والأغراضِ التي يُوضعُ لها الكلامُ، ثم بحَسَبِ موقعِ بعضِها من بعضٍ، واستعمالِ بعضِها معَ بعضٍ"١ وقد شكّل هذان النصّان العمود الفقري للبنية المعرفية والمنهجية التي أقام عليها رؤيته البلاغية في تحليل البيان القرآني، فكانا بمثابة النبراس الذي أنار له معالم الطريق في تأمل النظم القرآني. ويتعلق النص الأول منهما بتحليل المعاني، من حيث تباينها واشتراكها، ومدى قربها أو بعدها من العقل، وتأثيرها فيه، مما يعكس اهتمامه بجوهر المعنى لا بمجرد سطحه اللفظي وقشرته الخارجية. أما النص الثاني فينطلق من مفهوم النظم، مبرزًا العلاقة الدقيقة بين المعاني النحوية ودورها في إنتاج المزية البلاغية بحسب تنوّع المقاصد والأغراض التي ينظم الكلام لأجلها.

وقد انعكس هذا التأصيل النظري على رؤية الشيخ للبيان القرآني، إذ لم يتعامل معه كبناء لغوي فحسب، بل بوصفه تجلّيًا لهدي رباني، تنتظم فيه الألفاظ والمعاني لخدمة مقصد الهداية، فكل تركيب بلاغي في القرآن الكريم إنما جاء ليحقق غاية سامية، تتمثل في إرشاد الإنسان وتقويم فكره وسلوكه.

وانطلاقًا من هذه الرؤية الشاملة اتجه الشيخ إلى تحليل سور القرآن الكريم بوصفها وحدات موضوعية متكاملة، رابطًا بين دلالات آياتها ومقصدها الكلي، ومقصودها الأعظم، ضمن سياق قرآني شامل، يربط كل سورة بما قبلها وما بعدها، مما يعزز من وحدة النسق القرآني وترابطه المعنوي والبياني.

١- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، ط: الثالثة: ١٤١٣هـ، مطبعة المدني بِجدة مطبعة المدني بالقاهرة ص ٨٧.

منهج البلاغة القرآنية في بناء الإنسان وإحياء الرسالة:

نبه الدكتور محمود توفيق سعد غير مرة إلى أن الغاية الرئيسة من التفكير البلاغي في القرآن الكريم لا تقتصر على التذوق الجمالي لفيوض البيان الإلهي، ولا تقف عند حدود الاستمتاع المجرد بجمال اللفظ وروعة التركيب، مع أنَّ هذا الاستمتاعَ في نفسِه ذو قيمة تثقيفية ترويضيّة للنَّفسِ الإنسانيّة، لِما فُطرت عليْه النفسُ الإنسانيةُ مِن محبّةٍ للجمال في جوانبِ الحياةِ كلّها محسُوسِها ومعقُولِها، إلاَّ أنّ تبصرَ سِماتِ الجمالِ في تَفنُّنِ اللسانِ في الإبانَةِ عَن مِكنونِ الصّدورِ هو ضربٌ من الإحسان في تربيةِ النَّفسِ وإعدادها للقيامِ بما خلقتْ له من تعميرِ الحياةِ من جهة، والإخباتِ لله سبحانه وتعالى من جِهةٍ أخرى.

كما يرى شيخنا – رحمه الله – أن التفكير البلاغي في القرآن الكريم يمنح النَّفسَ الإنسانيّةَ فيضًا روحيًّا وعقليًّا يُثوّر عزيمتها على الفعلِ الخالقِ، ويدفعها إلى تعظيم الحياة في سبيل الله تعالى على الموت في سبيله، فالله سبحانه وتعالى خلقنا لِنحيا في سبيلِه، لا لأن نموتَ في سبيلِه كما يِحسَبُ غيرُ قليلٍ، وانطلاقًا من هذه الرؤية، فإن التفكير البلاغي في بيان الوحي يهدف إلى تحقيق تثوير نفسي عميق، يعيد للإنسان وعيه برسالته الوجودية، ويوقظ همّته للإحياء لا للفناء، ولتعمير الأرض لا لهجرها، وللسير في طاعة الله لا التوقف عند حدود الفناء دون غاية. فهو تفكير لا يقتصر على التذوق الجمالي فحسب، بل يرتقي ليصبح وسيلة لبناء النفس، وتوجيهها نحو مقصدها الأعلى: الحياة في سبيل الله تعالى.

ويتجلّى هذا الهدف النبيل من خلال زاويتين متكاملتين:

- أولًا: زاوِية التبَصُّرِ في منهجِ بيانِ الوحيِ في الكشف عن حقيقة النَّماذج المُثلَى ممن قاموا بتحقيقِ الحياةِ في سَبيلِ الله سبحانه وتعالى، وسعوا إلى تمكين غيرهم من السير في هذا السبيل، حيث يعرّفنا البيان الإلهي

بمنهجهم وأدواتهم التي اتخذوها سبيلاً لتحقيق هذه الغاية السامية. ليكونوا قدوة عملية للمؤمن في مسيرته الإيمانية.

- ثانيًا: زَاوِية التّبصُّرِ في مَنهجِ بَيَانِ الوَحيِ فِي إفهامِنا نماذجَ مِمّن اتَّخَذُوا الإفسادَ في الأرضِ وإدارةَ الإفسادِ فِيها وَرِعايةَ سَدَنَتِهِ رسَالةَ حياةٍ ومنهجَهم في هذا والأدوات الَّتِي مارسُوا بها هذا الإفسادِ حتّى نكونَ علَى بصِيرةٍ بهم، فلا نُخدعُ بِمعسُولِ ألسنتهم، ولا نبهرُ بما ينشرُونَه من حَولِنا مِن مغرياتٍ تزلّ بها القدَمُ، فلا تكونُ إلا الهلكة١.

فالتفكير البلاغي في بيان الوحي، كما يدركه أهل البصائر النافذة، معني بهذه الغاية الكبرى، أو ينبغي أن يكون كذلك؛ إذ هو من أشرف المقاصد، وأعظم المهام، وعبء ثقيل لا ينهض به إلا من وُفّق لصدق الفهم، وصفاء الفهم، وعلوّ الهمة.

<u>المحاور المنهجية للتفكير البلاغي في البيان القرآني:</u>

يرى الشيخ – رحمه الله – أن التفكير البلاغي في الذكر الحكيم ليس اجتهادًا لفظيًّا عابرًا،بل هو مسار معرفي وروحي، يقوم على منهجٍ أصيل قوامه الاستقراء أولًا، فالتحليل تفصيلًا، ثم التركيب تحصيلًا.

ولا يقتصر هذا النظر على ظاهر الألفاظ، بل يتطلب علمًا راسخًا بأصول العربية، وذوقًا بيانيًّا نافذًا يقرأ ما وراء الحروف، ويتلمّس النبض الخفي الذي يسري في الكلمة، ويستنير بالسياق، ظاهرِه وباطنه، ويتجه إلى مقصد الخطاب لا إلى قشرته الخارجية، لكن هذا المنهج لا يثمر إلا إذا أُسنِدَ إلى قلب مؤمن موصول بالله، تابع لهدي نبيه – صلى الله عليه وسلم

١– يُراجع: خصائص البيان القرآني فى سورة المسد مراجعات فى المنهج والبيان، بحث للدكتور محمود توفيق سعد منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الحادي والعشرون ، جمادى الآخرة١٤٣٧هـ: ٢٣٦.

– ؛ إذ البلاغة في بيان القرآني ليست صنعة لغوية فحسب، بل عبادة عقلية وروحية، لا تُثمر إلا لمن صفا قلبه، وأخلص قصده، وحسن سيره في طريق التدبر.

كما يرى الشيخ – رحمه الله – أن التفكير البلاغي في بيان الوحي لا يتخذ مسارات عشوائيَّة، بل يسير في مدارٍ من المحاور المتكاملة، تدور حولها رسالته الكبرى وفريضته العلمية، وتنتظم فيها جهوده التدبرية. وهذه المحاور الخمسة ليست متفرقة ولا متباعدة، بل هي كأركان بنية واحدة، يشد بعضها بعضًا، وعلى المتأمل أن يُحسن التبصر بها والتعامل معها بوعيٍ ناضج، ويُعنى بها عناية تامة، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ساعيًا إلى تحقيق التوازن بينها، فلا يطغى اهتمامه بمحور على حساب آخر، فإن الاعتدال في النظر شرط في تمام الفهم، وعمق التلقي مرهون بالجمع بين الأركان.

المحور الأول: بناء صورة المعنى (محور البنية التعبيرية):

يقدّم الشيخ – رحمه الله – في هذا المحور تصورًا دقيقًا لبناء المعنى في النظم القرآني، من خلال تفكيك وتحليل ستة عناصر رئيسة ترتبط بالتعبير القرآني، وهي:

العنصر الأول: الكلمة:

ينظر شيخنا – رحمه الله – إلى الكلمة القرآنية بوصفها نواة المعنى ومنبع إشعاعه، إذ لا تستقى دلالتها من مادتها المعجمية أو بنيتها الصرفية فحسب، بل تنبع من خلال تفاعلها مع السياق القرآني، وارتباطها مع مقاصد الخطاب التي تتجه إليها الرسالة الإلهية. فالكلمة في القرآن ليست أسيرة معناها المعجمي، بل تنفتح على أبعاد جديدة تستمدّها من المقام والسياق الذي وردت فيه. ومن شواهد هذا التوظيف الدقيق ما ذكره الشيخ من اصطفاء التعبير القرآني بكلمة (انفجرت) في سورة البقرة، في قول الله –

سبحانه وبحمده -:﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (البقرة: ٦٠) وبكلمة "انبجست" في سورة الأعراف في قوله تعالى:﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (الأعراف : ١٦٠) فرغم تشابه المشهدين في السياق، إلا أن دقة التعبير القرآني تبرز بجلاء في اصطفاء الفعلين. ففي سورة البقرة، عُبرَ بالفعل (انفجرت) لما يحمله من دلالة على الشدة والانفجار المتدفق، مما ينسجم مع سياق العطاء الإلهي الغامر. أما في سورة الأعراف، فعُبرَ بالفعل (انبجست) لدلالته على التدفق الخفيف والمتقطع، وهو ما ينسجم مع سياق التوبيخ والتذكير بالعصيان الذي يخيم على نسق الخطاب هناك[1].

العنصر الثاني: النظم:

ويقصد الشيخ به البُنية النحوية للجملة القرآنية، بما تتضمنه من ترتيب دقيق للكلمات، وانتظام متماسك بين أجزائها، في ضوء السياق ومقاصد الخطاب، ويُعد هذا العنصر من أوسع أبواب الدرس البلاغي وأرسخها، إذ يفتح المجال أمام العقل البلاغي لاكتشاف أنماطٍ كلية يُمكن أن تندرج تحتها الصور التعبيرية المختلفة، ومن هذا المنطلق كان النظم أكثر ميولًا إلى الموضوعية، وأقدر على إنتاج قواعد ضابطة، وهو ما يفسّر وفرة المعالجات البلاغية له، وكثرة اشتغال العلماء به في مدوّناتهم النقدية والبيانية.

---

١ - ينظر: دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين: دراسة منهجية تحليلية، د / محمود توفيق سعد: ٨٨، مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م،

ومع ذلك، فإن النظر إلى النظم بوصفه غاية البيان ومقصده الأعلى هو – في رأي الدكتور محمود توفيق سعد – تصورٌ ينطوي على قدر كبير من التوهم، ولا يخلو من القصور؛ إذ يرى أن النظم –على رفعة مكانته– ليس سوى بداية المسار البلاغي، ومدخله التأسيسي الذي تُبنى عليه بقية المقومات التعبيرية. ومن ثمّ، فإن الرؤية البلاغية المكتملة – كما يطرحها شيخنا – تقتضي أن يُقترن النظر في النظم بما يليه من عناصر أعمق صلة بطبقات المعنى وتحوّلاته في سياق الخطاب، وهو ما يتجلّى في العنصر الثالث الذي يتناول "الترتيب" بوصفه وجهًا من وجوه البيان الأعلى اتصالًا بالمقاصد الكلية.

العنصر الثالث: الترتيب:

يرى الشيخ – رحمه الله – أن الترتيب يتجاوز حدود العلاقات النحوية المباشرة ليُعنى بالروابط المعنوية بين الجمل داخل السياق الكلي، ويُقدّم مثالًا دقيقًا على ذلك بآية الكرسي، التي تُعدّ جملة قرآنية واحدة تتكوّن من تسع جمل نحوية، تتماسك وتتحد من خلال علاقات معنوية دقيقة، بعيدة عن العلاقات الإعرابية البسيطة مثل الإسناد والتقييد.

ويُبيّن الدكتور محمود توفيق سعد أن تناول البلاغيين لأسلوب الفصل والوصل يُشكّل صورة من صور اهتمامهم بترابط الجمل داخل البناء البياني، غير أنه لا يُجسّد كل أبعاده. إذ يرى أن هذا الجانب البلاغي يظهر بوضوح أكبر في مواضع أخرى من التحليل، يأتي في مقدّمتها أسلوب الاستثناء، الذي يبرز – في نظره – دقة الترتيب وفاعليته في إحكام بنية الخطاب، وتوجيه المعاني ، وتحقيق التماسك والانسجام بين أجزائه.

العنصر الرابع: التأليف:

يقدّم الشيخ في هذا العنصر رؤية متميزة لمفهوم التأليف، بوصفه المستوى الأعلى في البناء البياني، حيث يتمثل في تركيب "المعقد"؛

أي الفصل المؤلف من عدة جمل بيانية مترابطة. ويرى أن السورة القرآنية – ولا سيّما السور الطوال – تُبنى من مجموعة من المعاقد، يشكّل كل منها فصلًا مستقلًا في موضوعه، يضم عددًا من الجمل القرآنية، التي تتألف بدورها من جمل نحوية متعددة.

ويقوم هذا البناء على مبدأ وحدة الموضوع، إذ تتشعب المعاقد داخل السورة حسب تنوع الموضوعات التي يتناولها الخطاب، مما يُنتج تأليفًا متماسكًا، تتوزع فيه المعاني ضمن بنية شاملة لا تخضع للجوانب النحوية أو البلاغية الجزئية فحسب، بل تنتمي إلى نظام تأليفي متكامل ومترابط.

ويؤكّد الشيخ على أن تأمّل "المشتبه النظمي" على مستوى هذا التأليف الكلي – أي في العلاقات بين الفصول والمعاقد – يعد أرقى وأكثر دقة من الاقتصار على النظر في المشتبه النظمي داخل الجمل النحوية أو البيانية التى ترتكز على العلاقات الإعرابية أو الدلالية، كالتفصيل، والتوكيد، والتقابل، والتناظر. فالنظام التأليفي في القرآن – في نظره – يُبرز جمالًا بيانيًا بالغ العمق والدقة، ويكشف عن ترابط معنوي يتجاوز البنية الظاهرة إلى آفاق أعلى وأبلغ من الدلالات والمقاصد.

العنصر الخامس: التركيب النصي:

ينطلق الشيخ في هذا العنصر من رؤية علمية دقيقة لمفهوم التركيب النصي، حيث يرى أن بناء النص القرآني يتكوّن من سلسلة من "المعاقد" أو الوحدات التركيبية الكبرى، التي تتآزر في ما بينها لتشكّل بناءً متماسكًا. ويُعد هذا البُعد من أدق وأعمق مستويات التحليل البياني، إذ يتجاوز التركيز على التماسك الموضوعي إلى تدبر التناسب التركيبي ضمن البنية الكلية للنص.

وأشار – رحمه الله – إلى أن تراثنا العربي يزخر بمقدمات تؤسس لهذا التوجه، وتمهد لمنهجية متكاملة في تحليل النص القرآني. ومن هذا

المنطلق تبلورت معالم علم (مقاصد السور)، وإذا كان (علم التناسب) قد نشأ في المراحل الأولى من حركة تدوين العلوم ، فإن (علم المقاصد) قد نضج واكتمل على يد برهان الدين البقاعي، الذي يُعد أول من أرسى دعائم هذا العلم بصورة علمية منظمة، ومنحه دورًا توجيهيًا وتفسيريًا في فهم التناسب داخل النص.

وبيّن العلّامة الراحل أن البقاعي قد ارتقى بعلم المناسبات من مجرّد تحليل الروابط الظاهرة بين الآيات والسور، إلى تأطير علم المناسبات ضمن منهج المقاصد، جامعًا بذلك بين البنية التركيبية والغاية الدلالية، الأمر الذي مهّد لفتح مسارات جديدة في تفسير القرآن تجمع بين النسق التركيبي والبُعد المعنوي.

العنصر السادس: البيان القرآني:

يُقدم شيخنا – رحمه الله – في هذا العنصر رؤية فريدة تتعلق بالبيان القرآني، حيث يوضح أن القرآن الكريم يتألف من مجموع أربع عشرة ومئة سورة. ويُعد التدبر في هذا العنصر من أكثر ما يستهوي الباحث في بلاغة القرآن الكريم.

ويوضح – رحمه الله – أن هذا النوع من التأمل لا يمكن العثور عليه في إلا في تراث العقل البلاغي المتخصص الذي يعكف على دراسة البيان القرآني. فبالرغم من وجود الكثير من الأبحاث البلاغية، فإن ما نجده في القرآن الكريم يتفرد بخصائص لا مثيل لها في أي بيان بشري إبداعي بأي لغة كانت. وهكذا، يُعد هذا العنصر من أبرز خصائص منهج النظر البلاغي في الخطاب القرآني، بل من فرائده الفريدة التي تميز النص القرآني عن سائر النصوص البشرية.

وبذلك، نكون قد انتهينا من الحديث عن المحور الأول بكل عناصره الستة المتعلقة ببناء صورة المعنى، ننتقل إلى المحور الثاني الذي يعنى

بالمعنى البياني القائم على الصورة، كما أشار إليه الدكتور محمود توفيق سعد – رحمه الله–[1].

المحور الثاني – المعنى البياني القائم في الصورة:

ويقصد الشيخ بالمعنى البياني ذلك المعنى الذي يُستنبط من الصورة البلاغية في النصوص، حيث يعكس دلالة تصويرية تتجاوز المعاني العقلية المجردة. وهذا النوع من المعنى لا يُفهم إلا عبر الاستنباط من الصورة البلاغية نفسها، وله أساليب تحليلية خاصة يتبعها العلماء في استخراج معانيه.

ويؤكد الشيخ على أن المعنى البياني في القرآن الكريم معنى متجدد لا ينضب مع كثرة التكرار، وكلما زدت تدبرًا فيه، زادت عطاياه. فهو معنى لا يَبلى مع الزمن، ولا يُمَلُ من العلماء، مما يجعله دائم الفاعلية والتجدّد.

كما ينوه على أن العقل البلاغي لا يقتصر على البحث في الصور الشعرية أو المعاني النفسية فحسب ، بل يمتد ليشمل المعاني التشريعية والنفسية في القرآن الكريم وبيان النبوة المتفرد، ومن يغفل عن ذلك فقد غفل عن أمر جليل، ومن حصر العقل البلاغي في البحث عن المعاني المكنونة في الصورة الشعرية الخيالية ، فخير له ألا يشتغل به ، فمثل هذا لا يقيم المرء على باب الجنة يوم القيامة ، وكل علم لا يحملك إلى الجنة فالاشتغال بغيره أولى، وإنما يُعدّ استثمار النظر البلاغي في الكلمة الشاعرة وسيلة نافعة لفهم وتدبر الوحي قرآنًا وسنة.

---

١ – ينظر: دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين: دراسة منهجية تحليلية، د / محمود توفيق سعد: ٩١، مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م،

المحور الثالث: دلالة الصورة على المعنى:

يتناول الشيخ في هذا المحور كيفية توجيه الصورة إلى المعنى، موضحًا أن بعض الصور تُظهر دلالتها مباشرة، بينما تحتاج صور أخرى إلى مزيد من التدبر لفهم المعنى المقصود، مثل المعاني الإحسانية، أو كما سمّاها "المعاني التثقيفية التي تهذّب النفس.ويؤكد الشيخ أن هذا النمط من المعاني هو ميدان البلاغيين الحقيقي، وليس الانشغال "بالأخيلة وحدها" كما يفعل بعض النقاد في تذوق الشعر.

المحور الرابع: الأحوال المقتضية الإبانة عن تلك المعاني بتلك الصور:

ويُعد هذا المحور هو جوهر علم البلاغة، إذ يُعنى بمطابقة الكلام لمقتضى الحال، ويتناول العلاقة بين الكلام وحاله الذي يقتضيه سواء في ظاهره أو باطنه. وهذه المطابقة هي أساس الفهم البلاغي للنصوص. وما من مسألة في علم البلاغة إلا وترتبط ارتباطًا وثيقًا بهذا المبدأ، الذي لا يتحقق إلا من خلال معرفة الأحوال، وما تقتضيه من خصوصيات في التركيب، ومزايا في التصوير، و لطائف التنغيم في النصوص.

المحور الخامس : أثر الصورة في المعنى وفي المتلقي:

يتناول الشيخ في هذا المحور أثر الصورة البيانية من جهتين: أثرها في المعنى، وأثرها في المتلقي.

أما الأثر في المعنى، فيتجلى حين يُقارن المتدبر بين صورة بيانية قرآنية، وتعبير آخر محتمل للمعنى نفسه، فيدرك الفرق بينهما. وهذا المنهج البلاغي اتبعه الإمام عبد القاهر الجرجاني، لإبراز تأثير الصورة في تشكيل المعنى وعمقه.

وأما أثر الصورة في المتلقي، فيظهر من خلال التحول الذي يشعر به السامع بعد تلقيه للصورة القرآنية وتدبرها، مقارنة بحاله قبل ذلك أو عند

سماعه تعبيرًا بديلًا. ويشكل هذا المحور التأثيري أحد الأركان المهمة لفهم الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم[1].

وبهذا يتبين لنا أن التفكير البلاغي في البيان القرآني – كما رسم معالمه الدكتور محمود توفيق سعد رحمه الله – ليس مجرد تأمل لغوي جزئي، بل هو مسارٌ منهجي متكامل وبناء معرفي متناسق، يوازن بين المنهج العلمي والتزكية الروحية والوعي التدبري ، وقد أبرزت المحاور الخمسة لهذا النظر البلاغي طبيعة هذا المسار بوصفه نظامًا معرفيًا وتدبريًا متماسكًا، يتجاوز حدود اللفظ إلى أفق المعنى، ويعبر من الحرف إلى الفهم المقاصدي، ومن شأن هذا المنهج أن يوجّه النظر البلاغي إلى غايته العليا: خدمة الوحي فهمًا وتذوقًا، وإضاءة دروب جديدة في تحليل البيان القرآني تبقى موصولة بجو العبادة ومرتبطة بمقصد الهداية.

١ – ينظر : دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين: دراسة منهجية تحليلية، د / محمود توفيق سعد: ٩٢ مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ويراجع أيضًا: المعنى القرآني، معالم الطريق إلى فقهه في سياق السورة: رؤية منهجية ومقاربة تأويلية.

المبحث الثاني

التكامل المنهجي بين البلاغة والأصول في فكر الشيخ

تميّز الشيخ – رحمه الله – بمنهجية مبتكرة في التحليل البلاغي للقرآن الكريم، تقوم على مقاربة منهجية فريدة تجمع بين العقل البلاغي والعقل الأصولي في فهم آيات الذكر الحكيم. وقد تجلّى هذا التميّز في رؤيته التكاملية، حيث لا يرى العقلين في موقع التعارض، بل في موضع التكامل والانسجام؛ فكما يحتاج القلب إلى العقل ليهديه ويضبط مساره، فإن النصوص القرآنية بحاجة إلى البيان البلاغي والمنهج الأصولي معًا، ليتحقّق بها التوازن المنشود بين قوة الإقناع وجمال التأثير.

إن هذه المنهجية تعكس رؤية متوازنة وفهمًا عميقًا للنصوص الشرعية، إذ يمنح المنهج الأصولي التفسيرَ قوةً في الحُجّة والدلالة، بينما تُضفي البلاغة على الخطاب القرآني بُعدًا جماليًا وقدرة أكثر على التأثير الوجداني. فالعقل الأصولي يضبط المسار بتحديد القواعد والضوابط، في حين يمنح العقل البلاغي مرونة التأويل وروح التذوق. وما أروع أن يلتقي هذان العقلان في رحاب كتاب الله، لتكتمل صورة التدبّر، ويتّسع أفق الفهم، وتتجلّى أنوار الهداية القرآنية في أبهى صورها.

ولم تكن عناية الشيخ بهذا الموضوع نتاج انفعالٍ عابر، بل كانت ثمرة إدراكٍ عميق لخصائص العقل البلاغي وفاعليته في تعزيز ما يُنتجه العقل الفقهي من استنباط أحكام الشريعة. فقد كان اهتمامه منصبًا على المعاني التثقيفية الموجهة إلى النفس المتلقية، حيث أدرك – رحمه الله – أن العقل الفقهي عندما يستنبط حكم الله من دليله، فإنه يضع لبنة في صرح الهداية. لكن الذي يُكمل هذا البناء ويُبرز جماله هو العقل البلاغي، الذي يصوغ المعنى في قالب يُلامس الشعور، ويُحرك الإحساس، ويضفي على النص لحنًا شجيًا يُطرب له القلب قبل أن يُدركه الذهن.

ومن هذا المنطلق تجلت حاجة الفقه للبلاغة، فهي ليست مجرد زخرف لفظي يضفي جمالًا على ظاهر الحكم، بل هي أداة مهمة لغرس القبول في النفوس، ليثمر طاعةً وسلوكًا رضيًا. فالبلاغة كما نظر إليها الشيخ – رحمه الله – ليست زينة تُضاف إلى النصوص، بل هي روح تنبض فيها، وحياة تسري في ألفاظها، فتتحول الكلمات من مجرد تكليف إلى نداء عظيم، يحمل في طياته التشريف والتكريم.

ولم يكن الشيخ مقتصرًا في تحليله البلاغي على ظاهر الآيات فحسب، بل كان يتوغل في أعماق المعاني، ويسعى جاهدًا لاستخلاص سر كل حرف، وحكمة كل تكليف، ورحمة كل نهي، كان همه أن يتلقى المتلقي خطاب الله – عز وجل – كـ عطية سماوية تنقله من مقام التلقي المجرد، حيث يكون المكلف موجهًا ومُؤمرًا، إلى مقام المتشوّف المتلهف، الذي يتلقى الهبة في حالة من التكريم الرباني.

كما يذهب الشيخ – رحمه الله – إلى أن من أشرف مباحث علوم اللسان العربي في خدمة فهم الوحي الإلهي هو مبحث دلالة الألفاظ التركيبية على المعاني في سياقاتها المؤدية إلى مقاصد الخطاب. وقد أشار إلى أن العالم الأصولي لا يستغني في تعامله مع النصوص الشرعية عن ثلاثة مفاتيح جوهرية:"إلى حسن الفقه للدلالات التركيبية، وإلى حسن البصر بسياق الخطاب، و إلى حسن البصر بمقاصد القول . فهذه الثلاثة لا يتأتى الناظر في الخطاب القرآني أو النبوي أن يتغافل أو يغفل عن واحد منها ، أو يقصر في مبالغته في الاعتناء بها.وهذه الثلاثة هي محل عناية البلاغي المتدبر في خطاب الوحي قرآنا وسنة ، وإذا كان غير خفي عناية البلاغيين بدلالات الألفاظ التركيبية ، وكذلك عنايتهم بالسياق ، لكن الركن الثالث : مقاصد الخطاب يحتاج البلاغيون إلى أن يمنحوه مزيداً من عنايتهم ، فالتدبر البلاغي في خطاب الوحي قرآنا وسنة إذا التزم بمراعاة مقاصد

الخطاب على مستوياتها الثلاثة : الضرورية ، والحاجية ، والتحسينية ؛ فإن منهجه وحركته بل وأدواته إلى ذلك التدبر ينبغي أن تتواءم مع جوهر وحقيقة ورسالة خطاب الشرع ، وهو بالضرورة ليس كمثله خطاب الإبداع الأدبي شعرا ونثرا"[١] فقد نبّه الشيخ – رحمه الله – في هذا السياق إلى خللٍ منهجيٍّ يقع فيه عدد من الأصوليين عند تعاملهم مع النصوص الشرعية، ويتمثل هذا الخلل في الاقتصار على ظاهر الدلالة اللفظية، دون النفاذ إلى ما وراءه من دلالات أعمق ترتبط بسياق النص ومقاصده. كما أكد – رحمه الله – على أن النصوص الشرعية لا تُستنبط أحكامها ولا يُفهم خطابها فهمًا متكاملًا إلا من خلال مقاربة ثلاثية الأبعاد تجمع بين: الفقه الراسخ في دلالات التراكيب، والبصر النافذ بسياق الخطاب، والوعي العميق بمقاصد القول، وقد جعل الشيخ هذه الثلاثية مفاتيح الدخول إلى أسرار البيان القرآني، مؤكدًا أنه لا يكتمل النظر، ولا يستقيم التأمل إلا إذا اجتمعت هذه الأركان وتضافرت في منهج القراءة والاستنباط.

كما أشار الشيخ – رحمه الله – إلى أن مقاصد الخطاب ما زالت بحاجة ماسة إلى مزيد من التأمل والبحث، فهي تمثل عنصرًا أساسيًا وجوهريًا في اكتمال عملية التدبر البلاغي لخطاب الوحي، ومن خلال فهم المقاصد يرتقي المتدبر من سطح اللفظ إلى أعماق المعنى؛ ليتلمس روح الخطاب ومقاصده، لا مجرد عباراته وظاهره، حيث يتكامل الإدراك العقلي مع التأثر القلبي، ليصبح التلقي للخطاب الإلهي أقرب إلى الفهم الشامل الذي يجمع بين العقل والوجدان في آنٍ واحد.

١- دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين دراسة منهجية تحليلية/ د محمود توفيق سعد: ١٧، مكتبة وهبة، القاهرة ، ١٤٤٤هـ – ٢٠٢٣م.

وقد تجلت بصيرة الشيخ النافذة حينما حاول الكشف عن الخيوط الدقيقة التى تصل بين البلاغيين والأصوليين، والتى لا تلوح لكثير من طلاب العلم، فكثيرًا ما تتوارى دِقّتها عن أبصارهم، فتغيب عنهم مواطن التداخل، وتخفت في وعيهم إشارات التلاقي، فلا يتنبّهون إلى كيفية تآخى الصناعة البيانية مع الصنعة الأصولية، وكيف تتلاقى أدوات البلاغة مع مناهج الاستدلال، في رحاب كلام الله العليّ وسُنّة نبيّه الأمين ﷺ.وهنا كان للشيخ نظرةٌ ثاقبة تكشف شبكة المعاني المتشابكة بين المدرستين، وتضيء لطالب العلم مسالك الفهم الراقي، حيث تلتقي الفصاحة بالحكمة، ويجتمع الجمال بالدليل.

وتأكيدًا على ما سبق فإننا نرى كثيرًا من أعلام البيان في القديم والحديث، قد تبوأوا مكانة رفيعة في عِلْمَي أصول الفقه والبلاغة، حتى لَيَعْسُرُ على الباحث أن يُحسن تمثل رؤاهم البيانية دون أن يُجيد النفاذ إلى منطقهم الأصوليّ، وإننا لنلمح هذا التداخل جليًّا في آثار القاضي عبد الجبار، والعضد، والسعد، والسيد، وغيرهم ممن جمعوا بين البيان والدليل، وأحكموا النسج بين الفقه والبلاغة نسجًا لا انفصام فيه، وليس عجبًا، فإنّ علم البلاغة أقرب العلوم رحمًا بأصول الفقه، وأوثقها به صلةً. ومن تمام هذه الصلة، وقيامًا بواجبٍ يقتضيه العلم وأمانته، جاءت دراسات الشيخ – حفظه الله– معنيةً بهذا الشأن، تسدّ خَلة، وتسعى نحو تأصيل منهجٍ يجتمع فيه البيان والحجة، والذوق والدليل.

وقد أشار السكاكي – في عبارة بلاغية وأصولية جامعة – إلى الدور المحوري الذي تقوم به البلاغة في الكشف عن وجوه إعجاز القرآن الكريم، مبرزاً في الوقت ذاته ارتباطها الوثيق بعلم الأصول والتفسير، ودورها المشترك في فهم القرآن وضبط دلالاته، وتجلية مقاصده وأسراره، حيث قال – رحمه الله– :"ولله در شأن التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته إلا أدرك

لطائف لا تسع الحصر، ولا تظنن الآية مقصورة على ما ذكرت، فلعل ما تركت أكثر مما ذكرت لأن المقصود لم يكن إلا مجرد الإرشاد لكيفية اجتناء ثمرات علمي المعاني والبيان، وأن لا علم في باب التفسير بعد علم الأصول أقرأ منهما على المرء لمراد الله تعالى من كلامه، ولا أعون على تعاطي تأويل مشتبهاته، ولا أنفع في درك لطائف نكته وأسراره ولا أكشف للقناع عن وجه إعجازه هو الذي يوفي كلام رب العزة من البلاغة حقه ويصون له في مظان التأويل ماءه ورونقه"[١] وقد تجلّت عبقرية السكاكي في هذا القول، حيث وضع أيدينا على جوهر البلاغة في الفكر الإسلامي ؛ فلم ينظر إليها كفنّ لغوي مستقل، بل جعلها أداة مركزية لفهم كلام الله عز وجلال وتأويله، والتقاط لطائفه، وكشفِ وجوه إعجازه.

كما أشار السكاكي إلى أن علم الأصول هو الدعامة المنهجية التي يقوم عليها فهم النصوص الشرعية واستنباط الأحكام، غير أن هذا الفهم، وإن كان منضبطًا، يظل ناقصًا ما لم يُضف إليه الحس البلاغي الذي يفتح أبواب التأمل في جمال التعبير الإلهي، ويكشف عن أبعاد المعاني المستترة في طيات الأسلوب القرآني، فبينما يمنح علم الأصول المفسِّر بالأدوات العقلية لضبط الدلالة وتحديد المقصود، فإن البلاغة تهبه القدرة على النفاذ إلى روح النص، والإحساس بنبضه، واستشراف لطائفه الخفية.

وفي هذا السياق برز السكاكي باعتباره أحد العلماء الذين امتلكوا رؤية موسوعية متكاملة، إذ لم يقف عند حدود التصنيف التقليدي للعلوم، بل تجاوزها ليعيد رسم خريطة التداخل المعرفي بينها، فهو لا ينظر إلى البلاغة كمجرد علم يهتم بظاهر النصوص، بل يرتقي بها إلى مقام الأداة التأويلية

١- مفتاح العلوم : يوسف أبو يعقوب السكاكي ٤٢١، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

الدقيقة، التي لا غنى عنها في ميدان فهم القرآن الكريم، فقد أدرك أن الوقوف على حقيقة الإعجاز القرآني لا يتحقق من خلال أدوات علمية منفردة، بل هو ثمرة تزاوج واعٍ بين الدقة الأصولية، التي تضبط المعنى وتحدد القصد، وبين الذوق البلاغي، الذي يُشعِر المتلقي بجلال النص وسِرّ بيانه. وبهذا الاندماج بين المنهج العقلي والذوق الجمالي، يبلغ التفسير ذروته، ويتجاوز حدود الظاهر إلى المعاني العميقة، حيث تُلامَس إشراقات الوحي، وتُستشفّ أسرار الخطاب الإلهي.

إنها رؤية تنم عن وعي استثنائي بضرورة تكامل العلوم في مقاربة الذكر الحكيم ، ورفض القطيعة بينها، فعند السكاكي لا تكون البلاغة تحليلًا شكليًا، ولا علم الأصول جمودًا منهجيًا، بل هما جناحا الفهم الراشد، يطير بهما المفسر نحو آفاق المعنى، فيرتقي التأويل، ويزداد الانبهار بجمال التنزيل، وتتجلى عظمة البيان الإلهي في أبهى صوره.

المبحث الثالث

مقاصد السور وتناسبها البلاغي في البناء الكلي للقرآن الكريم:

يذهب الدكتور محمود توفيق سعد إلى أن كل سورة من سور القرآن الكريم تحمل هدفًا مركزيًا ومقصدًا أساسيًا يمكن استخلاصه من بنية السورة النصية وطبيعة الأسلوب البلاغي المستخدم فيها. ويتفرع عن هذا المقصد موضوعات متعددة تسهم في إبراز الرسالة الإلهية بشكل شامل. من هذا المنطلق، لا يمكننا أن نتعامل مع السور القرآنية على أنها وحدات مستقلة أو معزولة عن بعضها البعض، بل يجب أن ننظر إليها بوصفها وحدات مترابطة تتكامل مع بعضها البعض. إنها جزء من بناء قرآني كلي يعكس عمق التوجيهات الإلهية ويرسم معالم الطريق الذي ينبغي أن يسير عليه المسلمون في حياتهم. هذا الترابط بين السور يتجسد في تكامل المعاني والأساليب البلاغية التي تشكل البنية النصية للقرآن الكريم، مما يعزز فهم الرسالة الربانية ويجعلها أكثر وضوحًا وثراءً. من خلال هذا الفهم، يظهر القرآن الكريم كوحدة واحدة ذات هدف متكامل تسعى إلى هداية الإنسان وتوجيهه نحو الخير والصلاح في الدنيا والآخرة.

(سورة المسد) نموذجًا تطبيقيًا:

تُعد الدراسة التحليلية التى قدمها الدكتور محمود توفيق سعد لسورة "المسد" نموذجًا تطبيقيًا حيًّا لمنهجه الذي عمد فيه إلى تتبع المقاصد البلاغية للسورة وربطها ببنية النص القرآني الكلية؛ إذ يرى أن هذه السورة القصيرة في مبناها، العميقة في معناها، تمثل تجسيدًا واضحًا لمقصد قرآني محوري يتمثل في بيان عاقبة المناوئين للدعوة الإسلامية، وتأكيد سنّة إلهية خالدة مفادها أن الحق منتصر لا محالة، وأن الباطل، مهما علا فهو إلى زوال.

تتجسد في هذه السورة العدالة الإلهية في أبهى صورها، حيث يُعرَض فيها المشهد الختامي لحياة رجلٍ وامرأةٍ:(أبو لهب وزوجته) اتخذا مواقف معادية من الدعوة الإسلامية في مهدها، ولم يكن العداء الصادر منهما مجرد مواقف عابرة، بل كانت خصومة ممنهجة ومتكررة، حفلت بالعدوان اللفظي والمعنوي، ومحاولات الإيذاء للنبي – صلى الله عليه وسلم– ونشر الكراهية في المجتمع المكي آنذاك؛ ومن هذا المنطلق لم تأت سورة المسد لتسرد تلك القصة فحسب ، يل لتكشف عن نمط متكرر في التاريخ البشري، وترسم ملامح قاعدة كونية متكررة في مسار البشرية، هي سنّة الهلاك التي تلحق كل من يتصدى للحق عنادًا وتكبرًا. كما أن السورة الكريمة بهذا التصور لا تقف عند حدود التهديد أو الوعيد، بل ترتقي إلى مستوى البيان القطعي الذي يحمل في طياته حكمًا إلهيًا لا يقبل التأجيل أو التبديل. إذ افتُتحت السورة بجملة خبرية مؤكدة: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)، لتُعلن منذ اللحظة الأولى عن مصير محتوم لا مفر منه، وكأنها تسجّل بحروف من نور قدرًا إلهيًا لا رجعة فيه، قدرًا يترسخ في ضمير التاريخ، شاهداً على مآل من يعارض النور الإلهي بالكفر والجحود، وسِجلاً ناطقًا بعدل الله الذي لا يظلم الناس شيئًا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

التكامل البلاغي بين سورة المسد والسور المكية المجاورة لها:

تناول الدكتور محمود توفيق سعد في تحليله البلاغي لسورة المسد بُعدًا دقيقًا من أبعاد التناسب الموضوعي والبياني بين سورة "المسد" وعدد من السور المكية المجاورة لها، حيث أبرز في تحليله ما يُعرف في الدراسات القرآنية بالتكامل النصي، الذي يتجلى في انسجام السور فيما بينها من وحدة المعنى وتلاقي المقاصد على الرغم من تنوع السياقات النزولية وتباين الظروف التاريخية التي أحاطت بها.

فقد كشف في تحليله البلاغي عن نمطٍ دلالي دقيق من أنماط التناسب الموضوعي والانسجام الدلالي بين سورتي المسد والنصر، يقوم على مبدأ التقابل الثنائي في البناء القرآني، فبينما تعرض سورة النصر مشهد الانتصار النهائي للدعوة الإسلامية، متمثلًا في فتح مكة وظهور الحق وتمكين المؤمنين، تأتي سورة المسد في الجهة المقابلة لتُجسّد عاقبة المعاندين من رموز الكفر في مكة، وفي مقدمتهم أبو لهب وزوجه، اللذان يُقدّمان صورة مكثفة للرفض والتكذيب والعناد للرسالة الإسلامية.

ولا يُعدّ هذا التقابل مجرد تباينٍ في الموضوعات أو اختلافٍ في السياقات، بل يمثل بُعدًا بلاغيًا محكمًا في بناءٍ نصيّ معجز، يُوجّه الخطاب القرآني نحو مقاصده العليا. فهذا التقابل بين مآل المؤمنين ومصير المعاندين – بين النصر والهلاك، والتمكين والانهيار – يكشف عن حقيقة قرآنية راسخة: أن عاقبة المؤمنين نصرٌ وتمكين، وعاقبة المكذّبين والجاحدين هلاكٌ وخسران مبين.

كما لاحظ شيخنا الحبيب وجود تكاملٍ بياني ودلالي بين سورتي "المسد" و"الهمزة"، حيث أشار إلى أن "سورة الهمزة" تُجسّد أثر المال والجاه حين يُسخّران في معاداة الحق والتطاول على رسالته، وهو ما ينطبق تمامًا على شخصية أبي لهب وزوجه، اللذين اتخذا من مكانتهما الاجتماعية ونفوذهما المالي وسيلة للطعن في النبي ﷺ والتشويش على دعوته. وقد بيّن فضيلته أن هذا المعنى يتقاطع بوضوح مع مضمون "سورة المسد"، فكلتا السورتين تكشفان جانبًا من مظاهر الطغيان البشري حين يغتر الإنسان بزينة الدنيا، وتؤكدان على أن هذا الغرور مصيره الخسران والهلاك، مما

يعكس وحدة المقصد في الخطاب القرآني، واتساقه المعجز في عرض مآل المستكبرين والمعاندين[1].

كما كشف الشيخ في تدبره عن توازٍ دلالي بين سورتي: الفيل والمسد، حيث تصوّر الأولى مشهد العقاب الإلهي الذي لحق بأبرهة وجيشه، حين عزم على هدم الكعبة والاعتداء على حرمة بيت الله الحرام، فجاء الرد الإلهي قاطعًا وحاسمًا بهلاكهم بطريقة خارقة للعادة. ويقابل هذا المشهد في "سورة المسد" مشهدًا آخر لهلاك أبي لهب وزوجه، لا بسبب عدوانٍ مادي على الكعبة، بل بسبب معاندتهما الصريحة للرسالة الإلهية وموقفهما العدائي من حاملها عليه أفضل الصلاة والسلام. وكأن السورتين مع اختلاف مشاهدهما توصلان إلى الحقيقة ذاتها: أن كل من يتصدى للحق ويقف في وجهه، ويُعادي الدين وأهله، مصيره الهلاك المحتوم، سواء كان من أهل العدوان الظاهر أو من أهل المعارضة الباطنية.وفي مقابل هذه المشاهد المروّعة للهلاك، تأتي "سورة قريش" لتُبرز وجه العناية الإلهية، والمنة الربانية، حيث تصوّر النعمة التي أنعم الله بها على أهل مكة، من أمنٍ واستقرار ورزقٍ ، في ظل رعايةٍ وحمايةٍ ربانية. وهكذا، يتحقق في هذا السياق القرآني توازنٌ بديع بين مشهد النكال ومشهد الإنعام: فمن شكر نعمة الله وأطاعه نال الحفظ والرعاية، ومن كفر وجحد وعاند فقد تعرض للهلاك والخسران، كما تمثل ذلك في مصير أبي لهب وزوجه.

كما لفت أنظارنا – رحمه الله – في بيانه إلى أن من يتدبر سورة "المسد" يلمح في منطوقها إشارة إلى هلاك الكافر، كما تدل بلازمها على

---

١ – ينظر: خصائص البيان القرآني في سورة المسد: مراجعات في المنهج والبيان، د. محمود توفيق سعد مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد ٢١، جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ، ص:٢٤٢.



نصرة النبي ﷺ وأتباعه. وقد بيّن فضيلته أن هذا التناسب بين المعاني يتجسد في قوله تعالى في سورة "الكوثر": ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، حيث تُظهر السورة العطاء العظيم للنبي ﷺ في الدنيا والآخرة، مما يبرز فوز المؤمنين في مقابل هلاك المكذبين. وفي السياق نفسه ، يتبين في "المسد" أن أبا لهب هو الذي يُرمز إليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، فقد كان أبترًا حقًا، حيث لقي هلاكه ولم تُغنِ عنه أمواله ولا أولاده شيئًا، كما تكشف السورة عن هلاكه المُبين. وهكذا، تتكامل معاني سورة "المسد" مع سورة "الكوثر"؛ لتُبرز التباين بين النصر والهلاك، مما يعكس انسجامًا دلاليًا، يعزز الحقيقة القرآنية المستمرة.

وكذلك الأمر في سورة "الكافرون" نجد أن منطوقها يشير بوضوح إلى أن زعماء الكفر لن يؤمنوا، وهو ما تجسد أيضًا في سورة "المسد"، حيث يظهر أن أبا لهب وزوجته، وهما من أبرز رموز الكفر، لن يؤمنا أبدًا. كما ورد في السورة أن أبا لهب سيصلى نارًا ذات لهب، وكذلك امرأته سيكون جزاءها أن يُعَلَّقَ في جيدها حبلٌ من مسد، هذه العلاقة بين السورتين تؤكد حتمية عاقبة المكذبين والمصرين على الكفر.

وهكذا يتجلى من هذا التحليل الدقيق الذي قدّمه الدكتور محمود توفيق سعد – رحمه الله – أن سورة "المسد" لا تنفصل عن محيطها النصي في السور المكية، وليست بمنأى عن سياقها، ، بل تتفاعل معه في انسجام بلاغي معجز، يكشف عن نظم قرآني محكم متكامل، تتآزر فيه المعاني، وتتلاقى فيه المقاصد، في تجلٍّ بديع لإعجاز القرآن في انتظام بنائه، واتساق عباراته.

تجاوز التناسب السياقي إلى التقابل البنائي:

لم يقف الدكتور محمود توفيق سعد عند حدود البحث في المناسبات السياقية أو الموضوعية بين سورة المسد والسور المكية المجاورة لها في الترتيب القرآني، بل تجاوز هذا النطاق إلى أفق تأويلي أعمق، فقد سعى إلى الكشف عن علاقات أكثر دقة وأبعد مدى، تتمثل في الروابط البنائية والمعنوية بين سورة المسد وسورة أخرى تقابلها في الموقع الترتيلي داخل المصحف الشريف، وهي سورة النساء.

علاقة التقابل الوظيفي بين سورة (المسد) وسورة (النساء):

بينما تشغل سورة النساء المرتبة الرابعة في بداية المصحف، باعتبارها سورة مدنية تقدم مشروعًا تشريعيًا متكاملاً لبناء الأسرة والمجتمع على أسس العدل والرحمة، نجد أن سورة المسد تأتي في المرتبة الرابعة من خاتمة المصحف، وهي سورة مكية تحمل طابعًا تحذيريًا صارمًا، تمثل صورة نقيضة لما تعرضه النساء، إذ تسلط الضوء على تأثير الانحراف السلوكي في تفكيك الأسرة، عبر تقديم شخصية امرأة أبي لهب التي تمثل نموذجًا سلبيًا لهدم الأسرة والمجتمع.

هذا التقابل العددي والمكاني، الذي قد يبدو عند الكثير مجرد ترتيب مصحفي عادي، لا يُعَدّ في منظور الدكتور محمود توفيق سعد أمرًا عرضيًا، بل يرى فيه تقابلًا وظيفيًا يتجاوز الشكل ليضفي بُعدًا رمزيًا ودلاليًا على ترتيب السورتين داخل المصحف. ومن هذا المنطلق يتجلى تكامل السورتين في تقديم صورة ثنائية لطريقين متقابلين: طريق البناء الأسري والاجتماعي، وطريق الهدم والانهيار، وهذا هو جوهر "التقابل الوظيفي"، حيث تمثل سورة النساء دليل البناء، بينما تمثل سورة المسد صورة الهدم، وبين هذين الطريقين يقف الإنسان مخيّرًا لا مسيّرًا، لكنه مسؤول عن اختياره، فلكل طريق نهايته، ولكل مسار تبعاته.

ولم يقنع شيخنا الحبيب بالكشف عن التقابل الوظيفي بين السورتين فحسب، بل امتدّ فكره إلى أبعاد بلاغية أعمق وأدق، تجسدت في إشارته الذكية لمفهوم البنية الدائرية في الأسلوب القرآني، مبيّنًا أن ما يعرف في البلاغة بردّ "العجز على الصدر"، لا يقتصر على بيت الشعر أو الجملة، بل يمتد في نظر المفسرين البلاغيين الكبار – كالبقاعي– ليشمل السورة بأكملها، بل حتى القرآن الكريم في مجموعه، حيث يمكن أن نتلمس في بعض المواضع كيف يُردّ آخر القرآن على أوله، فيتسق الختام مع المطلع، ويكتمل البناء الدائري لحركة المعنى القرآني.

وانطلاقًا من تصور الشيخ تغدو سورة المسد من حيث موقعها في الترتيب، ومضمونها التحذيري، ووظيفتها التربوية، بمثابة ردّ بلاغي ومعنوي على سورة النساء، وكما أن سورة النساء ترسم معالم البناء الأسري والاجتماعي، تقدم سورة المسد صورة مضادة توضح أثر الانحراف في تقويض هذا البناء.وكأنما المعنى في القرآن لا يسير في نسق خطي متصل، بل يتحرّك في مدارات متكررة ومنتظمة، وينمو ضمن دائرة من التناسب والترابط، الأمر الذي يقوي أثره في النفس من خلال الإعادة الهادفة، والمقارنة المتقابلة، والتذكير بالعاقبة، فيتحول المعنى إلى تجربة تربوية متكاملة[١].

<u>**تعقيب على ظاهرة التقابل الوظيفي:**</u>

لا شك أن القراءة التأويلية التي قدّمها الدكتور محمود توفيق سعد حول مفهوم التقابل الوظيفي بين سورتي النساء والمسد، قد استلهم فكرتها

١ – ينظر: خصائص البيان القرآني في سورة المسد: مراجعات في المنهج والبيان، د. محمود توفيق سعد مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد ٢١، جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ ، ص: ٢٤٦.

من إشارات الإمام البقاعي في تفسيره نظم الدرر ، لكنه قدمها بأسلوب تأويلي معاصر أكثر تنظيماً وعمقًا في التحليل، كما تُعد تلك القراءة إسهامًا فكريًّا ثريًّا يُضفي بُعدًا جديدًا على الدراسات القرآنية، إذ تكشف عن وعيٍ عميق بترتيب السور وتوزيعها العددي والمكاني في المصحف الشريف، وتدلّ على قدرة نافذة على استكشاف خيوط الاتصال بين السور.

غير أن هذه المقاربة، رغم ما تحمله من قيمة معرفية وتأمل جليل في كتاب الله، لا ينبغي أن تُتّخذ قاعدة مطلقة أو يُعمم نطاقها على جميع سور القرآن إلا في ضوء دراسة منهجية شاملة تستقرئ مجموع سور القرآن الكريم؛ للتحقق من مدى اتساق هذا المنهج مع تعدد أغراض السور وتفاوت أساليبها.

فالخطاب القرآني في جوهره خطابٌ بالغ الثراء، تتعدد طبقاته وتتداخل مستوياته البيانية والدلالية، وهو بذلك لا يخضع لتأويل أحادي الاتجاه، ولا ينحصر في نمط قرائي واحد، بل هو نسيج متكامل من المعاني، يتطلب من الباحث أن يتعامل معه بمرونة منهجية، تُراعي خصائص كل سورة وسياقها الموضوعي والتاريخي.

والقرآن الكريم، باعتباره كتاب الله الخالد، هو تجسيد لهذه الحقيقة؛ فهو نسيج متكامل من الرسائل الإلهية التي تتسم بتنوع غاياتها وثراء مقاصدها، ولا يمكن حصره في إطار تعبير نمطي واحد أو منهج ثابت يحدد ترتيب سوره ومحتواها. وهذه الخصوصية – أعنى مرونة الخطاب وتنوعه من الناحية اللغوية والبلاغية – يُمكنان القرآن من مخاطبة الإنسان في كل زمان ومكان، منسجمًا مع احتياجات الأمة وتحدياتها المتجددة.

ومن هذا المنطلق، نجد أن بعض السور تتقاطع في مقصدها العام، فتتشارك في محاور أساسية مثل التوحيد، والهداية، أو التحصين، لكنها تتباين بشكل واضح في أسلوبها البلاغي ومسار المعالجة التي تتبعها. وهذا

التباين ليس عشوائيًا، بل هو حكمة إلهية تُضفي على كل سورة طابعها الخاص، وتمنحها قدرة مميزة على الوصول إلى وجدان القارئ أو السامع.

فعلى سبيل المثال، تلتقي سورة الفاتحة وسورة الناس في هدفهما النبيل نحو الهداية والتحصين، لكنهما تختلفان في طريقة التعبير والموضوع الفرعي الذي تركز عليه كل منهما، فالفاتحة تمثل الدعاء الشامل للهداية إلى الصراط المستقيم، حيث تمد جسور الوعي الرباني والعبادة الصحيحة، بينما تأخذ سورة الناس منحى الحماية من الشرور الخفية، في استعاذة متواصلة من وساوس الشيطان، وهذا يعكس دائرة متكاملة يبدأ فيها القرآن بطلب الحق وينهي بالتحصن من الباطل.

وبالطريقة نفسها، تتجلى علاقة مماثلة بين سورتي: البقرة والفلق، فسورة فالبقرة – كونها أطول سور القرآن – تفصل المنهج الرباني الكامل للحياة والمجتمع، مقدمة بذلك النور والمنهاج للمؤمنين، في حين أن الفلق قد خُصصت لاستعاذة المؤمن من الشرور الخفية التي قد تعرقل مسيرته الروحية والاجتماعية، مثل الحسد والسحر، وكأن العلاقة بين السورتين تُجسّد توازنًا بديعًا: بين من يبني المنهج ويسير عليه، ومن يتحصّن من معوقاته، في تكامل يؤكد أن الهداية لا تكتمل إلا بالتحصين.

وعند التأمل في سورتي: آل عمران والإخلاص، نلاحظ أن الأولى تتناول عقيدة التوحيد بتفصيل واسع، مع ردود واضحة على من يشكك فيها، بينما تقدم سورة الإخلاص خلاصة موجزة وعميقة لهذه العقيدة، ولا أظن أن هذا التفاوت يمثل تعارضًا، بل تكاملًا موضوعيًا يُغني المتلقي، ويعمّق إدراكه للتوحيد بين بسط وتكثيف، وبين حجاج عقلاني وتجريد إيماني خالص.

أما سورة المائدة فيتجلّى فيها إعلان إتمام الدين واكتمال الشريعة: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ... ﴾ ، بينما تُعلن سورة النصر تمام الرسالة

وظهور أثرها في الواقع: "إذا جاء نصر الله والفتح...". فكأن العلاقة بينهما تمثل مشهدًا متكاملًا من بداية إتمام التشريع إلى تحقيق النصر والتمكين.

غير أن هذا النموذج من التقابل الوظيفي لا يمكن اعتباره قاعدة ثابتة تسري على جميع سور القرآن، إذ أن بعض العلاقات بين السور قد تكون أكثر خفاءً وتعقيدًا، وتتطلب دراسات عميقة وتحليلًا دقيقًا لفهمها. فالقرآن الكريم، بتعقيده وبُنيته المحكمة، هو كتاب حي متجدد في مخاطبته، يأخذ في الحسبان التنوع في الأساليب، والموضوعات، والسياقات التاريخية، ما يجعل لكل سورة خصوصيتها التي قد تستوجب مناهج تحليلية متنوعة ومتكاملة.

المبحث الرابع:

التجليات البلاغية والربانية في قراءة الشيخ للقرآن الكريم

لعلّ من أبرز سمات التحليل البلاغي لآيات الذكر الحكيم عند الدكتور محمود توفيق سعد هو حضوره الرَّبّاني العميق الذي يتجلّى في تفاعله مع البيان القرآني؛ مما يُضفي على قراءته بُعدًا يتجاوز حدود اللغة والصناعة اللفظية. فقراءة الشيخ ليست مجرد تفكيك لآليات النظم القرآني، بل هي ممارسة تدبّريّة نابعة من خشوع قلب صادق، وتفاعل وجداني متجذر، واستحضار دائم للتقوى والإيمان في كل جزئية من جزئيات التحليل.

ولا يقتصر مرادي من "الرَبّانية" هنا على البُعد الديني الظاهري أو التفسير التقليدي للنصوص فحسب، بل المقصود بها الغوص في أعماق أسرار المعنى القرآني؛ حيث تُصبح كل كلمة، بل كل حرف في هذا السياق مجالًا للتأمل والتدبر، في محاولة صادقة للاقتراب من فهم مراد الله عز وجل من كلامه، وفي هذا الإطار يتجاوز التحليل البلاغي عند الشيخ حدود الدراسة البلاغية التحليلية للأساليب البيانية إلى مسار روحي وتربوي ، يسعى إلى إقامة علاقة أكثر عمقًا وصدقًا مع البيان القرآني، علاقة تتجدد وتتنامى مع كل لحظة تأمل وتدبر؛ وهكذا يتجلى القرآن الكريم كمصدرٍ للهداية والتزكية والتوجيه الروحي، ومعينٍ صافٍ يرفد النفس بطاقة إيمانية متجددة تمنح الإنسان القدرة على التفاعل مع العالم بقلبٍ خاشع، ونفسٍ واثقة مطمئنة، مفعمة باليقين والثقة بالله.

وتتجلّى ملامح هذا البعد الرَّبّاني في منهج الدكتور محمود توفيق سعد في كثير من تحليلاته للنصوص القرآنية؛ إذ لم تكن قراءته للآيات مجرد تمرين بلاغي أو استعراض لآليات البيان، بل كانت قراءة واعية متأنية، تستبطن المعاني الإيمانية العميقة، وتستحضر نور الوحي في كل

موضع من مواضع التحليل. فقد كان الشيخ يدمج بين فنية البلاغة وخشوع التدبّر، فتنصهر الأدوات البلاغية في جوٍّ من التقديس والخشية، وتتجاوز مهمتها الوصفية لتصبح أداة حيوية للتزكية، والتقرب إلى الله عز وجل، وإحياء معاني الحق والإيمان في القلب.

ومن خلال هذا المنهج، تتجلى البلاغة القرآنية بوصفها بابًا لفهم المقاصد الإلهية، واستشعار الهدي الرباني الكامن في النظم القرآني. وفيما يأتى سأقوم بعرض مجموعة من الشواهد التطبيقية التى حللها الشيخ وتجلت فيها أبعاد هذا المنهج الرّبّاني، حيث تتداخل البلاغة مع الروح، وينفتح النص على آفاق إيمانية تتجاوز حدود الظاهر اللغوي إلى عمق المعنى الرباني.

- **بلاغة النداء في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا"**

تتجلّى رَبانِيّات الشيخ في تحليله لهذه الآية، حيث لا ينظر إلى الحروف على أنها مجرد ألفاظ قابلة للتحليل، بل يتلاقاها كأنوارٍ تضيء القلب، ورسائلٍ من الحقّ تلامس الروح.

- **أولًا: نداء الخالق إلى خلقه... فيض من التكريم:**

لم يقتصر الشيخ في تحليله لأسلوب النداء :"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" على البنية النحوية أو الظواهر اللفظية فحسب، بل تجاوز ذلك إلى استنطاق المعنى الروحي الكامن خلف النداء، حيث يسعى إلى أن ينقلك إلى شعور أعمق، يسمو بك فوق حدود الزمان والمكان، ويُحيي في قلبك الإحساس بأن الله عز وجل يوجّه إليك خطابًا خاصًّا من فوق سبع سماوات، يجعلك تستشعر أنك حاضر في علمه، مشمول برحمته، خاضع لعظمته وسلطانه. وهذا الشعور، في جوهره، هو مفتاح التزكية الحقيقية: أن تُدرك بأنك منادًى من قِبل الله، ومُناجًى بكلامه؛ لأنك مؤمنٌ به.

- **ثانيًا: الربانية في استحضار القرب والبعد:**

عندما فسّر الشيخ حرف النداء "يا" بأنه يُستخدم للنداء على البعيد، لم يكن يقف عند التفسير اللغوي المجرد، بل تعدى ذلك إلى استحضار البُعد الروحي الذي تُحدثه الذنوب والمعاصي في قلب العبد، وكأن كل نداء إلهي يحمل بين طياته رسالة خفية تقول: "يا من أبعدتك ذنوبك عن مولاك، ارجع بقلبك، فهذا النداء ما نُطق إلا من أجلك.

بهذا التأمل الرباني لم يعد حرف النداء مجرد صوت لغوي، بل أصبح نبضة روحية تهزّ القلب، وجرسًا لطيفًا يوقظ الروح من غفلتها، وهمسة إلهية تُحيي في النفس إحساس القرب، مهما كانت المسافة مثقلة بالبعد، ومهما طال الفُراق.

- **ثالثًا: شرف الإيمان، ومعاني العهد:**

من أصفى الإشارات الربانية للشيخ أنه لم يمرّ على كلمة "آمنوا" مرورًا لغويًا عابرًا، بل وقف عندها وقفة بقلبه الحاضر النابض، ونفذ إلى عمقها الإيماني، وبيَّن لنا أن هذا النداء ليس مجرد دعوة للتصديق، بل هو استدعاء لعهدٍ قديم، وتذكير بمقام شريف اصطفانا الله له. فالمؤمن حين يُخاطَب بوصف "المؤمن"، فلا يُراد به التعريف فحسب، بل يراد به التنبيه أيضًا إلى أنه محلّ اختيار إلهي، وحامل لميثاق قديم لا يسقط بالتقادم؛ وهذا يُلزمه أن يرتقي دومًا إلى مستوى هذا الإيمان الذي اختاره الله له ووسمه به تفضّلًا واصطفاءً.

- **رابعًا: الربانية في التمييز بين نداء "الذين آمنوا" ونداء "المؤمنين"**
<u>منازل الإيمان ومقامات القرب:</u>

أشار الشيخ إلى ملمح رباني بالغ الدقة في بيان مقامات الإيمان، وذلك من خلال التمييز بين نداء "الذين آمنوا" ونداء "المؤمنين" في القرآن ، فـ"الذين آمنوا" وصفٌ لمن دخلوا في الإسلام وشرعوا في طريق الإيمان،

لكنهم ما زالوا في مقام التثبيت والتزكية، لذا يأتي الخطاب إليهم مشحونًا بالتوجيهات، محفوفًا بالأوامر والنواهي، ليعينهم على الثبات والمجاهدة.

أما "المؤمنون"، فهم من ترسخ الإيمان في قلوبهم، وصدق عليهم وصف الإيمان، حتى صار صفة لازمة لهم، فاستحقوا أن يُنادَوا بهذا اللقب الكريم من غير أداة النداء، إشارةً إلى قربهم من الله وعلو منزلتهم عنده.

وهكذا يرشدنا البيان القرآني أن ألفاظ القرآن ليست مجرد كلمات تُتلى، بل هي مفاتيح لمقامات نورانية ، ومعارج في طريق السالكين، يُهيّئ الله بها عباده المؤمنين للترقي من الإيمان كهوية، إلى الإيمان كحقيقة حيّة تسكن القلب وتوصله إلى مقامات المقربين.

ثم يفاجئنا الشيخ في هذا السياق بإشراقة بيانية نادرة قلّ من يتنبه إليها، ويطرح سؤالًا لا يكاد ينتبه إليه كثير من المتأملين، وهو إذا كان حذف حرف النداء في القرآن إشارة إلى قرب المنادى وعلوّ منزلته، فَلِمَ نُودي سيد الخلق، محمد ﷺ، بـ"يا أيها النبي" و"يا أيها الرسول"، وهو أقرب الخلق إلى الله؟!

هنا لا يكتفي الشيخ بطرح السؤال، ويتركك في دوّامة التساؤل، بل يأخذ بيدك إلى الجواب الذي يبدّد الحيرة، ويكشف عمق المحبة الإلهية، فيقول: "قد يقوم ذلك في صدرك، غير أنه قد غام عنك أمر مهم، هو أن في البيان عنه بوصف النبوة أو الرسالة في ندائه، قرينة دالة على أن ذكر حرف النداء معه" يا" ليس للتنبيه المترتب عليه القرب والبعد، بل النداء معه للتكريم والتحبب، فهو نداء حبيب لحبيب، ومن ثم لايكون ذكر حرف النداء معه للتنبيه، ومن ثم لم يناد إلا بـ " يا" الذي هو أم حروف النداء"[1] وهكذا

---

١ – شذَرات الذهب، دراسة في البلاغة القرآنية،د / محمود توفيق سعد.: ٣٥ مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م



أشار الشيخ إلى أن النبي ﷺ حين نُودي بـ"يا"، لم يُنادَ كباقي الخلق، بل نُودي بـ"يا" المحمّلة بالتكريم، والمطرّزة بالتشريف، والمغموسة في الودّ الإلهي.

إنه نداء لا يُنقص من القرب، بل يعلنه ويعززه، ويجعل من "يا" تاجًا لا حجابًا، وتكريمًا لا تنبيهًا، ورمزًا للتكريم والرفعة لا تنبيهًا من الانشغال والغفلة.

- **الربانية في التحليل البلاغي لقوله تعالى: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾:**

تمثّل قراءة الدكتور محمود توفيق سعد لهذه الآية الكريمة ذروة من ذرى الربانية في التحليل البلاغي؛ إذ لا يتوقف عند ظاهر الألفاظ والتراكيب، بل ينفذ إلى جوهر الخطاب الإلهي بوصفه نفَسًا من أنفاس السكينة الربانية، تسري به النبوة لتبثّ الطمأنينة في قلب أبي بكرالصدّيق في لحظةٍ هي من أشد لحظات البلاء والخوف.

فلم ينظر الشيخ إلى "إن" على أنها أداة توكيد نحوية فحسب، بل قرأها بعين القلب قبل منطق اللغة، وببصيرةٍ تستشرف أنفاس الوحي قبل أن تُحلّل ألفاظه، فاستخرج من حضورها روح التعظيم لا دفع الشك، وهيبةَ المعنى لا اضطرابَ اليقين، ورأي الشيخ – رحمه الله – أن هذا التوكيد لم يُوجَّه لتثبيت يقين الصدّيق، إذ لم يكن في قلبه ريبة، بل جاء ليُجلِّي جلال اللحظة ويعلو بالمقام. لقد أراد الخطاب أن يكسو اللحظة ثوب الهيبة، لا أن يُسكِّن روعًا متردّدًا. وهنا تتجلّى ربانية التأويل؛ إذ ينفذ الشيخ إلى سرّ التناسب بين اللفظ والموقف، ويُعيد إلينا صورة البيان القرآني حين يكون تجلّيًا للنبوة، وإشراقًا للإيمان في أسمى مراتبه.

ويشير الشيخ أن هذا اللون من التأكيد شائع في القرآن في الخطابات العظيمة، التي تُقال لمن هم في تمام التصديق، لكن لجلالة مضمونها

تُصبغ بصبغة التوكيد، فيلفت النظر إلى أن البلاغة هنا ليست مجرد توظيف أسلوبي، بل تجلٍ لهيبة المعنى وقداسة اللحظة.

وفي سياق تحليله العميق لمعنى "المعية" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، يحذرنا الشيخ من الانزلاق في شرك التأويلات الفلسفية أو المجازية الزائفة التي تُشوّه المعنى، ويُبيّن بجلاء أن المعية المقصودة هنا هي معية النصرة والرعاية والحفظ، لا الحلول ولا الاتحاد، وذلك واضح في قوله:" والحق الذي نؤمن به ونعقد عليه قلوبنا هو ما عليه سلفنا الصالح من أهل السنة والجماعة من أن الله عز وجل مع عباده معية إحاطة وعلم وقدرة وسمع وبصر وتربية.... وغير ذلك مما تفيض به ربوبيته مع علوه جل جلاله على عرشه فوق جميع العالمين، فليس في الآية أدنى تاويل؛لأن من فقه بيان العربية علم أن المعية فيه ليست تعنى المخالطة بل تعنى المصاحبة وهي تتسع مجالاتها ولاتنحصر في المصاحبة الحسية، فيفسرونها بحسب مقاماتها،واختلاف صنوف الدلالة الواحدة باختلاف السياق والمقام لايكون من قبيل التأويل أو صرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه"[1] وهكذا يؤسس الشيخ تحليله على منهج السلف، مستندًا في ذلك إلى الإمام الطبري وغيره من أعلام التفسير، ومشيّدًا فهمه على قاعدة راسخة من العقيدة السليمة الصافية، والبلاغة القرآنية الأصيلة.

وهكذا تتجلى الروح الربانية في منهج الشيخ، إذ يمزج بين رهافة الحس البلاغي وعمق الوعي الإيماني؛ حيث يُحيلنا من تحليل الألفاظ إلى معايشة المعاني، ويجعل من قوله تعالى: ﴿إن الله معنا﴾ جسرًا تعبر من خلاله القلوب الخائفة المنهكة إلى بر الأمان وسكينة اليقين، وسراجًا يوقظ

١ – – ينظر: شذرات الذهب: ١٠٩

جذوة الإيمان في النفوس، ورُكنًا راسخًا تُشدّ إليه أفئدة المؤمنين حين تشتدّ الخطوب.

- **الربانية في التحليل البلاغي لقوله تعالى: ﴿ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾:**

يتجلّى البعد الرباني في التحليل البلاغي الذي قدمه الدكتور محمود توفيق لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾(سورة التوبة:٣٨) في عنايته الواضحة باستنبطان الأثر الإيماني والنفسي للكلمة القرآنية، وربطها الوثيق بمقاصد الهداية والتزكية.

وينطلق الشيخ في تحليله من البنية الصرفية للفعل "اثاقلتم"، ليبرز ما تحمله صيغته . بما تنطوي عليه من إدغام وتكرار صوتي . من طاقة تصويرية دقيقة تعبّر عن حالة التباطؤ والثقل البالغ. فهو لا يصف مجرد تخلف جسدي، بل يرمز إلى حالة من الانحدار الروحي الخطير، حيث يقول: «فهو تثاقل جد جسيم، وفيه معنى التساقط، إيماءً لهم أنهم من قبل حالهم هذه كانوا في علياء، وترفعٍ عما هو لائط بالأرض». وهذا الربط بين الصورة الصوتية والدلالة المعنوية يجعل من الكلمة القرآنية أداة تربية وتهذيب، لا مجرد تركيب بياني. فالبلاغة، من هذا المنظور، لا تنفصل عن مسار التزكية والتطهير النفسي الذي يُراد من الخطاب القرآني أن يُحدثه في أعماق قلب المؤمن.

ويُظهر التحليل مدى المفارقة اللافتة بين الأمر الإلهي والاستجابة البشرية، حيث يُقابل الأمر الإلهي: ﴿انفروا﴾ بالفعل البشري المثقل بالتردد: ﴿اثـــاقلتم﴾ وهو ما عدّه الشيخ "مفارقة تُصور عظيم ما وقع فيه المتثاقلون... مفارقة ترهب وترعب"؛ لا لأنها تُخالف فقط ظاهر الأمر؛ بل لأنها تكشف عن تردٍّ داخلي في مستوى الاستجابة للحق، فالتباطؤ لا يعني

التخلف الجسدي فقط ، بل يشير إلى وهن داخلي وخلل في الإرادة الإيمانية. وبذلك، تصبح الآية صرخة إنذار تُدوّي في قلب المؤمن، تُحذّره من أن الفتور قد يتسلل إلى قلبه ويُصيب صدقه مع الله. إنها آية لا تخاطب الأذن فحسب، بل تلامس القلب وتستنهض الإيمان من تحت ركام التراخي والركون.

أما من حيث البنية النفسية للتثاقل، فقد أشار الشيخ في تحليله إلى أن هذا التثاقل لا ينشأ عن عجز بدني، بل عن"ما يعطّل طاقات النفس الحافزة على النهوض المتسارع إلى ما دُعيت إليه"، ومن هنا يرتبط الفعل بميل النفس إلى الدنيا، واستسلامها لثقل الشهوات. ويؤكّد الشيخ – رحمه الله– أن هذه الحالة تمثل تحولًا مقلقًا في التوجه الإيماني، لأنها "نقلٌ للدنيا من مكان غير قرار في الأيدي إلى قرار مكين في الأفئدة"، وفي ذلك تحذير بليغ من أن تتحول النعم إلى عوائق، وأن ينقلب الزاد إلى قيود تُقيّد السالك وتعيقه عن المضيّ في طريق الجهاد.

ولا يقتصر تحليل الشيخ على الجانب المعنوي فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى مراجعة التأويلات النحوية التي ضمّنت الفعل "اثاقلتم" معنى "مال" أو "أخلد"، فقد أبدى تحفظه على هذا التوجه، ورأى أنه يُقزّم الدلالة الغنية للكلمة القرآنية. ويؤكد أن هذه الأفعال تفتقر إلى ما يحمله "اثاقلتم" من إيحاء بالقوة في السقوط، وشدة التخلّي والانحدار، قائلاً: "القول بالتضمين هنا فيه ضعف، فإن في (اثاقلتم) معنى التساقط من علو، وهذا المعنى لا تجد منه شيئًا في الفعل (مال) أو (أخلد)"، كما أشار الشيخ إلى أن هذا الفعل يمكن أن يُعدّي بـ"إلى" "من غير تضمينه معنى فعل آخر"، دلالة على استقلال الكلمة وقدرتها على حمل المعنى المراد دون أن تقترض من غيرها.

ويختم الشيخ تحليله الرباني باستحضار الأثر الجمالي والتأثيري لصوت الكلمة، لكن ليس من منطلق الإعجاب اللفظي المجرد، بل بوصفه

رافدًا من روافد الهداية القرآنية، فيقول:"وفي اصطفاء هذه الصيغة (اثاقلتم) تصويرٌ بجرسها لدقائق ولطائف معناها، وهذا نهج من أنهاج البيان القرآني في تصوير معانيه"[١].

وهكذا يتجلى أن التحليل البلاغي الذي يقدّمه الدكتور محمود توفيق سعد يندرج في إطار بلاغة ربانية الغاية والمقصد، تُعيد للكلمة القرآنية بُعدها التعبّدي، وتضع البلاغة في منزلتها الأصيلة كأداة من أدوات الإرشاد الرباني والتزكية الروحية، تسهم في توجيه القلب والعقل نحو الله، وتربط الفهم البياني بالسلوك الإيماني العميق.

١ - ينظر: شذرات الذهب:٦٥:٦٢

المبحث الخامس

توازن الجلال والجمال في القرآن وأثره في تزكية النفس في فكر الشيخ

يطرح الدكتور محمود توفيق رؤية تفسيرية ذات بُعدٍ بلاغي وروحي، يسعى من خلالها إلى بناء فهم متكامل للمعنى القرآني، يستند إلى ثنائية دلالية جوهرية: جلال الألوهية وجمال الربوبية. ويرى أن هذه الثنائية تمثّل الأساس الذي يقوم عليه المعنى القرآني في عمقه ومقصده التربوي والبياني.

فجلال الألوهية يبرز عظمة الله تعالى وقدرته القاهرة، ومهابته التي إذا استقرت في القلب، ملأته خشيةً وتوقيرًا، وزكّت النفس بتهذيب شهواتها، وتقويم نزعاتها ، وأقامتها على مقام المراقبة والخضوع. وفي المقابل، يجلى جمال الربوبية رحمة الله الواسعة، ولطفه الخفي، ورعايته الدائمة، وتدبيره الحكيم لشؤون خلقه، وهو ما يغرس في القلب سكينةً، ويملؤه رجاءً، فيتطهّر من القنوط والقلق، ويترسّخ فيه معنى الرضا والطمأنينة.

ومن خلال هذا التوازن بين الجلال والجمال، تتحقق تزكية النفس، إذ تتشكل علاقتها بربها على أساس من الخوف المحفوف بالرجاء، والرهبة المشوبة بالمحبة، وهو الأساس التربوي الذي يقوم عليه المنهج القرآني في بناء الشخصية المؤمنة.

ويؤكد شيخنا الحبيب أن استحضار هذين البُعدين معًا ضروري لفهم أي آية من آيات القرآن الكريم، إذ من خلال هذا التلازم العميق بين الجلال والجمال، تتجلى أبعاد المعنى، ويتحول الخطاب القرآني إلى خطاب متوازن يخاطب العقل والوجدان معًا، ويؤسس لعلاقة حيّة بين الإنسان وربه، قوامها الرهبة والمحبة، والخوف والرجاء.

وقد قدّم شيخُنا– رحمه الله – عددًا من الشواهد القرآنية التي تُجسّد رؤيته العميقة في إبراز التوازن البديع بين جلال الألوهية وجمال الربوبية،

وهو توازن لا ينفصل في القرآن، وسأعرض فيما يأتى شاهدين يعكسان بوضوح ملامح هذه الرؤية الربانية الدقيقة.

والشاهد الأول الذى ساقه الشيخ هو مطلع سورة الفاتحة، التي يفتتح به المصحف الشريف، وتُفتتح بها الصلوات، وتُفتتح بها حياة المؤمن وسائر أعماله:﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

وقف شيخنا– رحمه الله – أمام هذه الآيات وقفةً تأملية عميقة، يستنبط من خلالها اجتماع الجمال والجلال في أدق تجلياتهما، مشيرًا إلى أن هذا التوازن من أعظم ما يميز البيان القرآني.

وقد أولى الشيخ اهتمامًا خاصًا لحرف "الباء" في مطلع البسملة، معتبرًا إيّاه مدخلًا تعبيريًا وروحيًا بالغ الأهمية، لما يحمله من دلالة افتتاحية تُحرّك اللسان وتُوقظ الوجدان، ليكون أول لفظٍ يُستهل به الكلام، وأول معنى تُبنى عليه العلاقة بين العبد وربّه، كما أشار – رحمه الله – إلى أن تقديم الجار والمجرور في ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾، وفق قواعد العربية يُفضي إلى معنى القصر، مما يُرسّخ مبدأ التوحيد في ذهن المتلقى، ويبرز في الوقت ذاته أبعاد الجلال الإلهي من جهة، وجمال العناية الربانية من جهة أخرى.

ويتجلّى جلال الألوهية في خشوع العبد، واستسلامه التام لإرادة الله، إيمانًا بأن التوجّه إلى غيره ضربٌ من الضياع، ومطية للهلاك. وفي المقابل، يشرق جمال الربوبية من خلال اقتران البسملة باسمي: الرحمن الرحيم، إيذانًا بعلاقة تبدأ باللطف لا بالرهبة، وبالعطاء لا بالمحاسبة. وما اصطفاء هذين الاسمين إلا لإبراز جوهر العلاقة بين العبد وربه، فهي مبنيّة على الرحمة والرأفة، لا على الخوف والقلق؛ فهو سبحانه يُقبل على عبده برحمته قبل أمره، ويحتويه بعطفه قبل تكليفه.

ومن الإشارات الدقيقة والمعاني العميقة التي لفت الشيخ أنظارنا إليها في تدبره لافتتاح سورة الفاتحة، أن قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ليس حمدًا على نعمة عارضة، بل هو تمجيد لله لذاته العليّة، إذ هو المستحق للحمد في ذاته وكماله، قبل أن يكون لعطائه وإنعامه، فإذا أفاق القلب من غفلته، أدرك أن هذا الحمد إعلانٌ عن فيض دائم من الرحمة والإكرام، يتجلّى في تربية الله لعباده، لا في العطاء الظاهر فحسب، ثم يأتي قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ليرسخ هذا المعنى، ويكشف أن هذا الفيض من العطاء ليس منحة عابرة، بل هو إشراف إلهي دائم، تربية ربانية شاملة، تشمل الخلق كلهم، تربية تقوم على الرحمة والرعاية، وتغمر الإنسان في جميع أحواله.

ويُواصل الشيخ – رحمه الله – إبراز مظاهر الجمال الرباني، مشيرًا إلى أن تكرار اسمَي الله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ليس تكرارًا لفظيًّا، بل هو توكيدٌ يُرسّخ في وجدان المؤمن مركزية معنى الرحمة، حتى تغدو أصلًا في منهجه وسلوكه. فينطلق في أقواله وأفعاله، في اللين والشدة، من باعث الرحمة، حتى إذا عاقب من يستحق العقوبة، فإنما يفعل ذلك رحمةً به أو رحمةً بالناس من حوله.

ثم يُتوَّج هذا الاستهلال القرآني لسورة الفاتحة بآية تتجلّى فيها روعة الجلال الإلهي : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ إشارة إلى أن الرب الرحيم، الذي ظهرت آثار رحمته وجمال صنعه في الوجود، هو نفسه المولى المتعالي، المتفرد بالحكم والفصل في يوم الحساب، في ذلك اليوم المهيب الجليل تتجلى مظاهر الألوهية في أكمل تجلياتها من الهيبة والعزة، فيسطع فيه سلطان الله، مشمولًا بعظمته التي تعمّ الكون؛ فيخضع له كل مخلوق، وينقاد له كل

موجـود، وترتقــي الأرواح بخضــوع العبوديــة، مسـلّمة لهيمنــة الحـق الـذي لا يُنازع[١].

هكذا تجلى تأمل الشيخ – رحمه الله – في مطلع القرآن الكريم، إذ أزاح الستار عن ذلك التوازن المدهش بين مهابة الجلال ورقة الجمال ، فلم يكن تأمله شكليًا مكرورًا، بل قراءة ذوقية شعورية تنفذ إلى لبّ النظم المعجز وروحه، حيث تغدو كل لفظة موصولة بحقيقة إيمانية، وكل تركيب مفتاحًا لمعنى توحيدي جامع. وبذلك أعاد الشيخ – رحمه الله – بعُمق تأمله بناء العلاقة مع القرآن، فغدا الحرفُ حضورًا حيًا، والكلمةُ إشراقة تُعلم القلب كيف يستشعر الجمال في الجلال، وكيف يدرك الرحمة في الهيبة، وكيف يبصر في آيات القرآن معالم القرب، ومرافئ الطمأنينة.

ومن أبرز الآيات التي وقف عندها الشيخ – رحمه الله – ليظهر من خلالها روعة التوازن بين جلال الألوهية وجمال الربوبية قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يهدي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر: ٢٣) فقد ذكر – رحمه الله – أن الجلال والجمال في هذه الآية قرينان، فالجلال مشار إليه بقوله تعالى: (تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) فاقشعرار الجلود إنما هو مجلى ما يعتمل في القلوب من الخشية . وفي هذا إبلاغ في تصوير ما أفعم هذه القلوب من الخشية ، وكان في اصطفاء فعل (الخشية)إعراب عن أن ذلك الفعل مؤسس على علم بشأن من يخشونه سبحانه وتعالى . وكان بديعا اصطفاء اسم الربوبية في هذا المقام، وهو اسم قد يستظهر أن الأليق به سياق الأنس ، وأن الأولى أن

١ – يُنظر: خصائص البيان القرآني فى سورة المسد مراجعات فى المنهج والبيان، ٢٦٠

يقال : يخشون الله – تعالى – لما بين مقتضى الخشية والجلال والإعراب باسم الألوهية من تناد ، ولكن البيان القرآني اصطفى اسم الربوبية إشارة إلى أنهم يخشونه متجليا بالإحسان والرعاية ، فكيف بخشيتهم له متجليا بالعظمة والمهابة . وترى الجمال مشاراً إليه بقوله: ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ فمن جلال الخشية يتولّد جمال الشعور بالأنس ، تبصر قوله: ﴿ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ لم يقل: (من ذكر الله) كما قال: (تَقْشَعِرُ مِنْهُ)[1].

بهذا الوعي الدقيق توقف الشيخ – رحمه الله – على هذا الملمح البياني بالغ الدقة الذي عكس من خلاله عمق التوازن بين معاني الجلال والجمال في الآية الكريمة، فقد استخرج من سياق الآية ما يكشف عن تلاحم الخشية والأنس، والرهبة والرحمة في صورةٍ واحدةٍ تجمع بين اقشعرار الجلود ولين القلوب، مما يعكس فهماً دقيقاً لدلالات الألفاظ وتناسقها مع المقامات التعبيرية.

كما استقر في عقل الشيخ "أن جوهر الأمر في كل معاني القرآن الكريم – مهما اختلفت وتنوعت – هو توافر هذين العنصرين: الجلال والجمال، فهما قائمان في كل معنى من معاني القرآن الكريم، وكل تأويل لا يبرز هذين العنصرين في المعنى المؤوّل ما هو بتأويل للمعنى القرآني، وبهذا يمكننا تميز ما هو معنى قرآني في الآية ، وما هو معنى بياني لغوى . فالمعنى القرآني القائم فيه الجلال والجمال تدركه في تأويلات الأعيان من أهل العلم بالقرآن ، ولا تجدهما في تأويلات غيرهم ، وإن كانت تأويلات لا يعترض عليها من جهة علوم العربية ونحوها ، فثم أسفار في تفسير

١ – المعنى القرآني، معالم الطريق إلى فقهه في سياق السورة، رؤية منهجية ومقاربة تأويلية، د/ محمود توفيق سعد : ٥٦ مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م.

القرآن وتأويله لا يستشعر منها جلال الألوهية وجمال الربوبية ، فيما يذهبون إلى أنه المعنى لأنهم قد أغرموا بالتورك العقلي في تأويلاتهم، والاستهتار في المنازعات العقلية الخلاء من استصحاب أن هذا الكتاب هدى ورحمة وبشرى وشفاء"[١] .

وتُعد هذه الوقفة القرآنية أنموذجاً يُحتذى في قراءةً الذكر الحكيم قراءة تتجاوز ظاهر الألفاظ إلى ما تختزنه من معانٍ دقيقة وأبعاد شعورية عميقة، الأمر الذي يضفي على التفسير بعدًا متجددًا، يستنطق النظم القرآني بروح متزنة تستوعب جمال النظم وجلال المعنى، وتُعيد إبراز معاني التوحيد في إطار من البيان المعجز الذي يتناغم فيه العمق البياني مع البُعد الوجداني، ويتجلى فيه الجلال والجمال في انسجام متكامل.

---

١ – المعنى القرآني، معالم الطريق إلى فقهه في سياق السورة، رؤية منهجية ومقاربة تأويلية، د/ محمود توفيق سعد :: ٥٨.



الخاتمة:

الحمد لله الذي هداني إلى التأمل في أسرار كتابه، ووفقني لاستخلاص بعض أسرار بيانه من خلال تتبّع معالم المنهج البلاغي التأويلي للدكتور محمود توفيق سعد – رحمه الله – فجاء هذا البحث ثمرة توفيقه وفضله، وقد خلصت إلى جملة من النتائج العلمية والمعرفية المهمة، أود أن أوجزها فيما يأتي:

١- كشف المشروع العلمي للدكتور محمود توفيق سعد – رحمه الله – عن وعي راسخ بالبلاغة بوصفها علمًا وظيفيًّا وتأويليًّا، يتجاوز حدود النظرة السطحية للأساليب، إلى آفاق التدبر، وتحليل المعنى، واستكشاف المقاصد والسياقات. كما شكَّل تركيزه على فكرة "تأصيل المنهج" خطوة محورية في تأسيس رؤية علمية متكاملة لفهم النصوص، تراعى السياق والمقصد، وتُعيد توجيه البلاغة إلى مقاصدها المعرفية والشرعية.

٢- أسس الشيخ – رحمه الله – مشروعه العلمي على مرتكزات مستمدة من الهداية الربانية، وجعل من بيان معاني الصراط المستقيم المحور المركزي الذي تتكامل حوله مؤلفاته، والغاية التي تتلاقى عندها مناهجه، فكان البيان عنده يتجاوز حدود الإيضاح اللغوي ليصبح أداة فاعلة في تنمية الوعي الروحي وهداية القلوب إلى نور الله المبين.

٣- يرى الشيخ – رحمه الله – أن التفكير البلاغي في القرآن الكريم له هدف أسمى يتجاوز التذوق الجمالي، فهو وسيلة لتربية النفس وتحفيزها على الحياة في سبيل الله، من خلال تبصّر نماذج الخير والشر في البيان القرآني، مما يجعل البلاغة منهجًا معرفيًا وروحيًا يوجه الإنسان نحو الفهم العميق والتأمل الواعي.

٤- يذهب الشيخ إلى أن البلاغة القرآنية تمثل نسقًا تعبيريًّا متكاملًا يرتكز على تحليل دقيق للمعاني، والنظم، والترتيب، والتأليف، ويربط بين اللغة

والدلالة بأسلوب منهجي يهدف إلى الكشف عن الحكمة الإلهية الكامنة، حيث يحقق كل تعبير في القرآن مقاصد الهداية والتوجيه الروحي؛ وبذلك تصبح البلاغة أداة معرفية وروحية توجه الإنسان نحو فهم عميق وتدبر واعٍ للخطاب القرآني.

٥- الفهم المتكامل للخطاب القرآني، كما يراه الشيخ – رحمه الله – لا يتحقق إلا بتكامل العقلين: البلاغي والأصولي، إذ يمنح العقل البلاغي الخطاب أثره الجمالي والوجداني، بينما يضبط العقل الأصولي دلالته، ويهدى إلى مقاصده، فينبثق من هذا التلاقى نورُ المعنى، وقوة الدلالة، وجمال الخطاب، فيتحول التفسير إلى رحلة عقلية ووجدانية نحو مقاصد الوحي.

٦- أوضح المنهج التأويلي للدكتور محمود توفيق سعد أن فهم السورة القرآنية فهمًا دقيقًا لا يكتمل إلا في إطار السياق الكلي للقرآن الكريم؛ إذ تتكامل موضوعاتها، وتتناسق مقاصدها، وتتشابك طرائقها البيانية، وتتفاعل أدواتها التعبيرية، في نسق بنائي موحَّد يجعل من كل سورة لبنة في بناء متماسك تتكامل فيه السور وتنسجم فيه الآيات، لتعبّر مجتمعة عن مقصد كلي، ورسالة موحدة، لا عن وحدات متفرقة أو دلالات مجتزأة.

٧- يُعد مفهوم "التقابل الوظيفي" الذي طرحه الدكتور محمود توفيق سعد رؤية تأويلية مبتكرة تسلط الضوء على الروابط العميقة بين السور القرآنية، سواء من حيث ترتيبها، أو دلالاتها ، حيث يُبرز هذا المفهوم البناء الدائري والتناسق الدقيق المحكم للنص القرآني، كما يكشف عن أبعاد بلاغية ومعنوية تتعدى التناسب الظاهري لتصل إلى أهداف تربوية وتشريعية متقابلة ومتكاملة.

٨- قرر الشيخ – رحمه الله – أن جوهر المعنى القرآني يكمن في توازن بديع متقن بين جلال الألوهية، وجمال الربوبية. فالجلال يوقظ في القلب الخشية والرهبة التي تحفز على تزكية النفس، بينما يمنح الجمال الطمأنينة وسكينة النفس. هذا التوازن يشكل الأساس الإيماني والتربوي لفهم القرآن، حيث تتحول البلاغة القرآنية إلى جسْر يربط بين البيان والإيمان، وتوجه المؤمن إلى ربه عبر تجربة روحية متكاملة تجمع بين العقل والقلب.

التوصيات:

يجدر بي أن أوجه جملة من التوصيات التي من شأنها أن تسهم في تعزيز البحث العلمي وتطوير دراسة البلاغة القرآنية وفق رؤية الدكتور محمود توفيق سعد – رحمه الله – بما يفتح آفاقًا أرحب للفهم والتفسير والتدبر، ويمكن إجمال هذه التوصيات فيما يأتي:

١- ضرورة إعادة قراءة البلاغة القرآنية بمنهج تكاملي يدمج بين البيان والمقاصد التربوية، وبين السياق والدلالة، على غرار المنهج الذي أصّله الدكتور محمود توفيق سعد.

٢- العمل على جمع مؤلفات الدكتور سعد وطباعتها ضمن سلسلة علمية متكاملة، مع شروح توضح معالم منهجه ووجوه تجديده.

٣- الدعوة إلى إدماج مشروعه البلاغي في مناهج كليات اللغة العربية والقرآن الكريم ، نظرًا لما يقدمه من أدوات منهجية قادرة على تطوير فهم البيان القرآني تفسيرًا وبلاغةً.

٤- تشجيع الباحثين على دراسة مشروعه دراسة تحليلية، تُعنى بأصوله المنهجية وتطبيقاته التأويلية، مع ربطها بإشكاليات الخطاب المعاصر.

٥- دعوة الباحثين في البلاغة إلى مزيد من العناية بمقاصد الخطاب القرآني عند تحليل الألفاظ والتراكيب ، بوصفها عنصرًا جوهريًا في الفهم البلاغي المعاصر.

٦- تعزيز التواصل المعرفي بين البلاغيين والأصوليين، لما لذلك من أثر كبير في تحقيق فهم أعمق للنصوص الشرعية، خاصة في برامج الدراسات العليا.

٧- تشجيع الباحثين على إجراء دراسات تطبيقية على سور مختارة في ضوء منهج الدكتور محمود توفيق سعد، للكشف عن وحدة السورة ومقصدها وأسلوبها البلاغي وخصائصها البيانية.

٨- التأكيد على دور البلاغة في تحصين الفكر الإسلامي من الانحرافات الفكرية، والاختراقات العقائدية المعاصرة، وذلك من خلال إبراز آليات القرآن في كشف الزيف وتفنيد الباطل.

٩- إطلاق مشاريع بحثية تعنى برصد التكامل المعرفي بين البلاغة والفقه وأصوله، بهدف بناء نموذج تأصيلي معاصر يخدم تجديد العلوم الإسلامية.

وفي الختام أسأل الله جلّ في علاه أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي، خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لطلّاب العلم، وإسهامًا في خدمة كتابه العزيز، وأن يتغمّد الشيخ الدكتور محمود توفيق سعد بواسع رحمته، ويكرم نزله، ويوسّع مدخله، ويرفع درجته في جنّات النعيم، ويجعل علمه صدقة جارية، ونوره ممتدًّا في قلوب من اهتدى به، وأن يرزقنا جميعًا الإخلاص في القول والعمل، ويوفقنا لما يحب ويرضى، فهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع:

١. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة: ١٤١٣هـ .

٢. أصول البحث في بلاغة التناسب القرآني، بحث منشور في مؤتمر الدراسات البلاغية في القرآن الكريم الذي عُقد في كلية اللغة العربية بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ٢٠١٦م.

٣. خصائص البيان القرآني فى سورة المسد مراجعات فى المنهج والبيان، د/ محمود توفيق سعد، بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الحادي والعشرون ، جمادى الآخرة١٤٣٧هـ.

٤. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني القاهرة، الطبعة الثالثة،١٤١٣هـ.

٥. دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين: دراسة منهجية تحليلية، د. محمود توفيق سعد، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٦. سُبل استنباط المعاني من القرآن والسنَّة: دراسة منهجية تأويلية ناقدة، د. محمود توفيق سعد، مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٧. شذَرات الذهب، دراسة في البلاغة القرآنية، د. محمود توفيق سعد، مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٨. في نقد العقل البلاغي، د. محمود توفيق سعد، طبع على نفقة مشيخة الأزهر الشريف ومجلس حكماء المسلمين ضمن سلسلة كتب اللغة والأدب في مشروع من عيون التراث الأزهري الحديث، ونشرته دار القدس العربي بالقاهرة طبعة أولى ٢٠١٩م.

٩. معالم التكليف والتثقيف في آيات الربا من سورة البقرة، د. محمود توفيق سعد مكتبة وهبة بالقاهرة.



١٠.المعنى القرآني، معالم الطريق إلى فقهه في سياق السورة: رؤية منهجية ومقاربة تأويلية، د. محمود توفيق سعد، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م.

١١.خصائص البيان القرآني في سورة المسد: مراجعات في المنهج والبيان، د. محمود توفيق سعد، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد ٢١، جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ،

١٢. مفتاح العلوم : يوسف أبو يعقوب السكاكي، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٣. مِنهاج الدعوة الى الله سبحانه وتعالى في ضوء البناء التركيبي لصورة المعنى القرآني، سورة النحل نموذجًا، د. محمود توفيق سعد، بحث منشور في ندوة الدراسات البلاغية الواقع والمأمول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، المجلد الأول، عام ٢٠١١م

almasadir walmarajieu:

1. 'asrar albalaghati, eabd alqahir aljirjanii , qara'ah wellq ealayhi: mahmud muhamad shakiri, alqahirata: matbaeat almadani, jidat: dar almadni.
2. 'usul albahth fi balaghat altanasub alqurani, bahath manshur fi mutamar aldirasat albalaghiat fi alquran alkarim aladhi euqd fi kuliyat allughat alearabiat bialriyad jamieat al'iimam muhamad bin sueud al'iislamiat eam 2016m.
3. khasayis albayan alquranii faa surat almasad murajaeat faa almanhaj walbayan, du/ mahmud twfiq saeda, bahath manshur fi majalat maehad al'iimam alshaatibii lildirasat alquraniati, aleadad alhadi waleishrun , jamadaa alakhrat1437h\.
4. dalayil al'iiejazi, eabd alqahir aljirjani, qara'ah wellq ealayhi: mahmud muhamad shakir, ta3, jidat: matbaeat almadani, alqahirat: dar almadani.
5. dlalat al'alfaz ealaa almaeani eind al'usuliiyna: dirasat manhajiat tahliliatun, du. mahmud twfiq saedu, alqahirati: maktabat wahbata, 1430h / 2009m.
6. subl astinbat almaeani min alquran walsnat: dirasat manhajiat tawiliat naqidatun, du. mahmud tawfiq saeda, maktabat wahbat bialqahirati, 1432hi/ 2011m.
7. shdharat aldhahaba, dirasat fi albalaghat alquraniati, du. mahmud tawfiq saeda, maktabat wahbat bialqahirati, 1422hi/ 2001m.
8. fi naqd aleaql albalaghi, du. mahmud twfiq saedu, tabe ealaa nafaqat mushyakhat al'azhar alsharif wamajlis hukama' almuslimin dimn silsilat kutub allughat wal'adab fi mashrue min euyun alturath al'azharii alhaditha, wanasharath dar alquds alearabii bialqahirat tabeat 'uwlaa 2019m.
9. maealim altaklif waltathqif fi ayat alriba min surat albaqarati, du. mahmud twfiq saed maktabat wahbat bialqahirati.



10. almaenaa alqurani, maealim altariq 'iilaa fiqhih fi siaq alsuwrati: ruyat manhajiat wamuqarabat tawiliati, du. mahmud twfiq saedu, alqahirati: maktabat wahbata, 1442h / 2021m.
11. khasayis albayan alquranii fi surat almusdi: murajaeat fi almanhaj walbayan, du. mahmud twfiq saeda, majalat maehad al'iimam alshaatibii lildirasat alquraniati, aleadad 21, jamadaa alakhirat 1437h,
12. miftah aleulum : yusuf 'abu yaequb alsakaki, ta: naeim zarzura, dar alkutub aleilmiati, bayrut - lubnan , altabeatu: althaaniatu, 1407 hi - 1987 mi.
13. minhaj aldaewat alaa allah subhanah wataealaa fi daw' albina' altarkibii lisurat almaenaa alqurani, surat alnahl nmwdhjan, du. mahmud twfyq saeda, bahath manshur fi nadwat aldirasat albalaghiat alwaqie walmamuli, jamieat al'iimam muhamad bin sueud al'iislamiati, kuliyat allughat alearabiati, almujalad al'awwla, eam 2011m.